

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المرآة

مجلة أسبوعية لتقصص والتأنيخ

تصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثالث ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٥٥ - ١ مارس سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة

ولد	لجى دى موباسان	بقلم أحمد حسن الزيات	١٢٨
تفيدة	أفصوصة مصرية	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٤٧
أرملة	أفصوصة فرنسية	بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدق	١٥٥
اليأس في الحب	لأنوربه بلزاك	بقلم الأستاذ محمود الحفيف	١٥٩
عدو	أفصوصة إيطالية	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب	١٦٤
جوليا أو هيلوز الجديدة	لجان جاك روسو	بقلم أحمد حسن الزيات	١٦٨
المستر بكوك ورفاقه	أشارلز ديكنز	بقلم «عائد»	١٧١
الصبي	أفصوصة واقعية إنجليزية	بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى	١٧٦
يوميات نائب في الأرياف	صوراً مصرية	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم	١٨٥
اعترافات فتى العصر	لألفريد دى موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس	١٩١
الأوذيسة	لهوميروس	بقلم الأستاذ دريني خشبة	١٩٦



موباسان

وقف عضو الشيوخ
ورشف رشفة من هذا
الغمام اللافح الطافي ،
وأخذ يدمن النظر في
الشجرة العاشقة وهي

للكاتب القصصيّ جى دى موباسان

بعلم أحمد حسن الزيات

تتألق تآلق الشمس وترسل بذورها في الجو ، ثم قال :
« حينما يفكر المرء في أن هذه الذرات التي يدركها
الشم ولا يدركها البصر ، ستخلق بعض الموجودات
على عشرات الفراسخ من هذا المكان ، وستعش
ألياف الشجرات الأثني وتمير ماءها فتنتج كائنات
ذات جذور تنشأ من بذرة كما نشأنا ، ويدركها
الفناء كما يدركنا ، ويخلفها على الأرض خلف منها
كما يخلفنا ... ثم جمد الشيخ أمام الشجرة المشرقة
وأرجها الشديء المحي ينبت منها كلما اهتز النسيم ،
وعاد يقول : « آه يا صديقي ! لو طُاب إليك أن
تحسب حساب أطفالك لا ارتبكت ! دونك مثلاً
هذه الشجرة : إنها تنسل بسهولة ، ثم تتخلي عن
نسلها من غير ندم ، ثم لا تشغل بالها به بعد ذلك »

فقال عضو الأكاديمية : « إنا نصنع نسلنا مثل
ما تصنع هذه الشجرة نسلها يا صديقي » فقال عضو
الشيوخ : « نعم لا أنكر أننا نتخلي عنه في بعض
الأحوال ولكننا نمرقه ، وفي ذلك سمو نوعنا
على غيره » . فبرز الآخر رأسه وقال :

ليس هذا الذي عنيت يا صديقي . إنك لا تجد
في الناس رجالاً ليس له أولاد مجهولون ممن يسمونهم

كان الصديقان الجمان يتنزهان في الروضة
الفينانة المزهرة والربيع البهيج الطاق يزخر في
جنباتها بالحياة . كان أحدهما عضواً في مجلس
الشيوخ ، وكان الآخر عضواً في الأكاديمية
الفرنسية ، وكان كلاهما وقور النفس رزين الطبع
يصدر عنهما الرأي أو الحكم مدعماً بالدايل
مؤيداً بالحجة ، ولكن في شموخ وأبهة ، شأن
رجال الوجاهة والشهرة . تمحدثا أولاً في السياسة ،
فتبادلا القول في بعض الأسماء ، لاقى بعض الآراء ؛
وحدثت الشخصيات في موضوع السياسة يتغلب
دائماً على حديث العقل ؛ ثم أنارا بعض الذكريات
وصمت كل منهما ، وظلا يسيران جنباً إلى جنب
وقد استرخت مفاصلهما على فتور الهواء

وكان في الروضة المطار حوض من القرنفل
الأصفر ينفج بالعبير اللطيف الأرج ، وكومة من
الزهر النضير تفض على النسيم نوافج المسك ، وشجرة
من شجر الأبنوس مكسوة بالعناقيد الصفرة تذر
ذرونها في الهواء ، وهو أشبه شئ بدخان من
النضار أو بمساحيق المطار ! تفوح منه رائحة
المسل ويحمل بذور الشجرة العطرة إلى أطباق الفضاء

هؤلاء الأوباش المجرمين بلدون أيضاً :
إن لي من هذا الأمر نصيباً عجيباً سأقصه عليك
في حادثة شنيعة لا تزال تحز في نفسي وتثقل على ضميري
إنها أنكيت لا يفتر ، وندم لا ينقطع ، وارتباب
لا ينجلي

وقع في نفسي وأما في الخامسة والعشرين من
عمرى أن أقطع المراحل مشياً الى « بريتانيا » مع صديق
من أصدقائي هو مستشار الدولة اليوم . فبعد خمس
عشرة يوماً أو عشرين من السير العنيف قطعنا فيها
(السكوت دنور) وقمنا من (فينستير) بلغنا
(دورنيز) ومن هناك وصلنا الى رأس (راز)
الوحش عن خليج (ترياسيه) وقضينا الليل في
قرية من قرأها ينتهي اسمها على ما أذكر بأوف .
ولما تنفس الصبح وجدت صديقي قد تحال به
السفر فلتزم السرير . وأقول السرير بحكم العادة ،
أما الواقع فإن فراشنا لم يكن إلا حزمتين من القش
على أن إقامة المريض في هذا المكان مستحيلة ،
فأكرهت صديقي على أن ينهض ، ثم استأنفنا
المسير حتى دخلنا (أوديرن) في الساعة الرابعة
أو الخامسة من المساء . وفي الغد ظهرت عليه دلائل
الصحة فسرنا ، حتى إذا ملكنا الطريق اعتراه
مرض ثقيل فلم تبلغ (بون لاييه) إلا بشق
الأنفس . وفي هذه البلدة وجدنا فندقاً على الأقل
فنام صديقي ، وعاده الطبيب فقرر أن ما به حمى
شديدة ، ولكنه لم يتبين طبيعتها بعد

هل تعرف (بون لاييه) ؟ كلا . إنها أعرق
البلاد أصلاً في بريتانيا ، تجمع فيها ما تتميز به هذا
القطر من عادات وأخلاق وأساطير . ولا تزال
إلى اليوم كما هي لم تتطور ولم تتغير ؛ وأقول (إلى

أبناء المعارضة ^(١) ، ولد لهم من غير حساب ، كما تنتج
هذه الشجرة من غير وعي
لورُحنا نعد النساء اللاتي وصلنا الأسباب بهن
لشق على الحاسب أن يحصى الأبناء ، كما يشق على
هذه الشجرة أن تحصى الخلفة »

إذا تذكر المرء من خالط من النساء في
المقابلات المعارضة والساعات الذاهبة أمكنه أن يعد
منهن مائتين أو ثلاثمائة ، ولا تستطيع أن تزعم
باصديقي أن هذا العدد يخلو من واحدة على الأقل
قد اشتمت على ولد ، ولا تستطيع أن تنفي أن
لك على بلاط السكك أو في أعماق السجون ابناً
شربداً يسرق ويقتل الأخيار من أمثالنا ، أو بنتاً
تزاول البغاء في أحد المواقير ، أو تعالج الطبخ في
أحد البيوت إذا كان الحظ قد أسعفها ففصلها
عن أمها

ولا يغرب عن بالك فضلاً عن ذلك أن كل
امرأة ممن نسمين (عموميات) لها ولد أو ولدان
لا يعرف لها أب ، ينتزعهما من حضنها من شاء
بمشرة فرنسكات أو عشرين . كل مهنة يقدر فيها
أربابها الأرباح والخسائر ، وهؤلاء الأطفال هم
« خسائر » هذه المهنة

من هم والدون ؟ أنت - أنا - نحن جميعاً -
نحن معشر الذين يدعونهم المهذبين . هؤلاء الأطفال
هم نتائج مآدبنا البهيجة ، وأماسينا اللاهية ،
وساعاتنا الغافلة التي ينتشى فيها الجسد فيدفعنا إلى
المغامرة

إن لصوص النهار ورواد الليل وأخذان الجريمة
هم أطفالنا ، ومن الخير لنا أن نكون آباءهم ، فإن
(١) أولاد السفاح

وكانت الخادمة لا تنفك تدخل علينا ومعهما الطعام أو الدواء ، فأعابها قليلاً فتأنس وتلهو ، ولكننا ما كنا نتحدث بالطبع مادمت لا أعرف لغتها ولا تعرف لغتي

وفي ذات ليلة تأخرت طويلاً عند الريض ، فلما انصرفت إلى غرفتي واجهت الفتاة وهي ذاهبة إلى غرفتها أمام بابي المفتوح ؛ فدفعني عبث الدعابة من غير تدبير ولا تفكير أن لغفت قوائها بذراعي ، ثم جذبها وهي في دهشة المفاجأة إلى غرفتي ثم أغلقها ؛ فشخصت ببصرها إلى فرجة مرتاعة مستطارة ، ولم تجرؤ على أن تصبح خشية أن يفتضح الأمر فيطردها سيدها ثم ينفيها أبوها

فعلت ذلك أول الأمر مزاحاً ودعابة كما قلت ، ولكنني لم أكد أراها في غرفتي حتى ملكتني رغبة قوية في استبقائها ؛ ثم كان بيني وبينها صراع



اليوم) لأنني لا أبرح وأأسفاه أزورها في كل سنة : حصن قديم تحوض أبراجه المنيفة في غدير كثيب واسع يحوم عليه أسراب من الطيور المتوحشة ، ونهر صغير يخرج من هناك فتصعد المراكب الساحلية



فيه إلى المدينة ، وشوارع ضيقة ، ومنازل عتيقة ، ورجال يلبسون القبة الكبيرة والسترة الطارزة وأربعة أصدرة بعضها فوق بعض . وبنات وافيات الجسم ، وسميات الوجه ، بضات البشرة ، يتدرعن بصدار من الجوخ ، ويتقنن بقنصاع غريب ينسج من خيوط الذهب أو الفضة

كانت خادمة الفندق الذي حملناه واحدة منهن لا يزيد عمرها على ثمانية عشر ربيعاً . لها عينان زرقاوان يخترق زرقتهما الشاحبة نقطتان صغيرتان سوداوان ، وأسنان قصيرة نضيدة مشدودة كأنما خلقت لطحن الحجر ؛ وكانت لا تعرف اللغة الفرنسية ، ولا تتكلم إلا اللهجة البريتونية ، وتلك حال الكثرة الغالبة في هذا الاقليم

لم يرفض الألم عن صديقي ، ولم تبد عليه أعراض مرض معين . ومع ذلك منعه الطبيب أن يسافر وأمره بالراحة التامة . فقضيت النهار بجانبه ،

هذا الاقليم في الثامنة عشرة عليهما نظرة الجبال
وغضاضة الصبي ، وقد لبست لبسة هذا الاقليم :
صدار ضيق من الجوخ على الصدر ، وقناع من
نسيج القضة على الرأس ، وصفحة عريضة مرصعة
على كل صُدغ

كانت الساعة السادسة من المساء توشك أن
تحين ، جلست إلى المائدة أنعمشي وصاحب الفندق
نفسه هو الذي تقدم إلى خدمتي ، فأجري القدر
المحتوم على لساني هذا السؤال :

أتعرف المالكين القدماء لهذا الفندق ؟ لقد
قضيت فيه اثني عشر يوماً منذ ثلاثين سنة ، فأنا
أحدثك عن شيء بعيد ، فأجاب الرجل قائلاً :
— لقد كانوا أهلي ياسيدي

فقصصت عليه كيف عاقبني مرض صديقي عن
السفر وعقابي هذه المدة ... فلم يدعني الرجل أتم
الحديث وقال :

— أوه : إلى أذكر ذلك جيداً . لقد كنت
يومئذ في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من
عمرى . لقد كنت تنام في الغرفة القصوى وسأحبك
ينام في الغرفة التي اتخذتها لنفسى على الشارع
وفي هذه اللحظة لاقبها جرى على خاطري
ذكرى الخادمة الصغيرة فسألته :

أتذكر تلك الخادمة الرشيقة التي كانت يومئذ
عند أبيك ؟ وقد كان لها ، إذا لم تخني الذاكرة ،
عينان جيلتان وأسنان نضيدة عذبة ؟ فقال :

« نعم ياسيدي ، لقد ماتت بحمى النفاس بعد
ذلك بزمان » ثم أشار بيده نحو الفناء ، وكان فيه
رجل ضئيل أعرج يعمل في روث الاصطبل ، وقال :
(هذا ولدها)

طويل صامت ؛ صراع الجسم للجسم على نحو
ما يفعل المصارعون من أهل الرياضة ؛ فالأذرع
مبسوطة مقبوضة ملتوية ، والنفَس مطرود مهور
لاهث ، والجلد محمر يتصبب منه العرق . أوه : كانت
تدافع مستبصلة ، وتقارع مستقتلة ، وكنا نصطدم
مرة بعد مرة بكرسى أو حاجز أو منضدة ، فنسكن
برهة ونحن مشتبكان مخافة أن توقظ هذه الجلبة بعض
الناس ، ثم نعود إلى الصراع هجوماً مني ودفاعاً
منها . وأخيراً خذاتها قواها فسقطت منسرفة خائرة
لم تسكد تنهض حتى فزعت إلى الباب فرفعت
رئاحه وولت مدبرة . لم ألقها في الأيام التالية إلا
فادراً ؛ فكانت تتجأني أن أدنو منها . ثم تماثل
الميل وأبل فأخذنا تتأهب لاستئناف السفر . وفي
ليلة الرحيل رأيتهما بعد موهن من الليل تدخل
غرفتي حافية في قبض النوم فألقت نفسها بين
ذراعي وحضنتني بقوة وشغف ، ثم بادت تقباني
وتلاطفني بأكية معولة حتى الصباح ، فلم تدع شيئاً
مما تنطوي عليه العاشقة البكاء من إشارات الحنان
ودلالات اليأس إلا بذاته

مرت ثمانية أيام على هذا الحادث المألوف في مثل
هذه الحال فنسيته ؛ وانقضت ثلاثون سنة لم يحظر
فيها بيالي ، ولم أعد في خلالها إلى « لون لاييه »
وفي سنة ١٨٧٦ رجعت إليها عرضاً وانفاقاً ،
فقد كنت أجول في بريطانيا ذلك العام أجمع
الوثائق وأنصور المشاهد لكتاب أؤافه

كل شيء في هذا البلد على ما عهدته ؛ فالحصن
لا يزال على المدخل مخوضاً بجدرانها المنيعة في
الغدير ، والفندق باق كما كان إلا أنه ترمم
واستحدث . فلما دخلته استقبلني فتاتان من أهل

فقلبي الضحك وقالت :

« إنه دميم وليس فيه شبه من أمه ؛ فلا بد أن يكون لأبيه » فقال الفندق : ذلك ممكن ، ولكن أحداً من أهل البلد لا يعرف من أبوه . وقد ماتت هي من دون أن تقول شيئاً عنه . ولقد كانت دهشة الناس شديدة حين علموا أنها حامل ، ولم يثقوا بصدق الخبر

عمراني هزة كريمة ونال قلبي مس أليم كأن غمامة من الهم الثقيل تتكاثف وتقترب . ثم

رجعت بصري في الرجل وهو بالفناء وقد حمل إلى الخيلول دلوين من ماء النهر فكان يمشي متجسماً على نفسه وقد بدت عاينه دلائل الجهد من العرج . كان خاق الثوب ،

قدرا الجسم ، زرى الهيئة ، طويل الشعر أشعث ، قد نادت على وجنتيه خصل مصفرة منه كأنها الجبال عاد الفندق إلى حديثه يقول : « إنه ياسيدي قليل الغناء ضئيل القيمة ، وقد آويناها إلى بيتنا شفقة ورحة . وأمله كان بوجه الوجهة الحسنى لو ربي كما يربي الناس . ولكن ماذا يصنع ياسيدي ؟ ليس له أب ولا أم ولا مال . لقد أدركت والدي الرحمة على الطفل ، ولكنه ليس طفلهما ، وأنت تعلم ماذا أعني »

لم أعقب على كلامه بشيء ، وقضيت الليلة في غرفتي القديمة ساهداً أفكر في خادم الاصطبل الغضبي ، وأردد في نفسي هذا السؤال : « أما لو كان هذا ابني ؟ ... أليس من الممكن أن أكون أنا الذي قتلت تلك الفتاة وولدت هذا المخلوق ؟ »

قررت في نفسي أن أكلم هذا الرجل وأن أسأله عن تاريخ مولده بالدقة ؛ فان فرق شهرين يخرجني من هذا الشك

وفي غدوة اليوم التالي بعثت في طلبه فوجدته

لا يعرف من

الفرنسية شيئاً ،

وقد بدا عاينه مع

ذلك أنه لا يفقه

قولاً . فطابت

إلى إحدى

الخاديات أن

تسأله عن سنه

فأحار جواباً ،

ووقف أمامي

وقففة الأبله يدير

قيمه بأصابعه الكريمة المعقدة ، وهو يضحك

ضحكة الغباء والبلاهة فيبدو على مزاوي شفقيه

وعينية شيء من ضحك أمه

على أن صاحب الفندق علم ما أسأل عنه فذهب

يبحث عن شهادة ميلاد السكين فعملت منها أنه

أبصر الدنيا الثمانية شهور وستة وعشرين يوماً من

تاريخ مردري بهذا البلد . فاني أذكر يقيناً أنني بلغت

(لوران) في ١٥ أغسطس ؛ وقد ذكر في شهادة الميلاد

أن « الأب مجهول » والأم تسمى (جان كرادك)



رغبة واحدة في أن ألقى الرجل لأرى هل فيه ملامح
مشتركة بينه وبينى

لحقت به وهو ذاهب إلى الكنيسة ، فقد كان
ذلك يوم أحد ، فنفتحه مائة صلبي وجمات
أجسه بعيني وأتفرسه في اضطراب وقلق ؛ فأخذ
بضحك تحك فبيحة ، ثم ضاق ذرعه من طول ماصوبت
النظر فيه وسعدته ، فانطلق مسرعاً بعد أن دمدم
بكلمة لا يكاد يظهر لها جرس عبر بها عن
شكره ولا شك

قضيت النهار كما قضيت الليل في هم وقلق ؛
فلما اقترب المساء دعوت صاحب الفندق وقلت
له في حيلة ولباقة ولطف : إني أهتم بهذا
المخلوق الناس الذي أغفله كل إنسان ، وأعوزه
كل شيء ، وأريد أن أفيده فائدة . ولكن الرجل
أجابني بلهجة المعترض الخائف قائلاً :

« أوله : لا تفكر في ذلك ياسيدي . إنه أقل من
لا شيء ، ولا يصلح لشيء ؛ وإنك لا تجني مما تصنعه
معه إلا الالتماض والكراهة . أما أستخذه
في كسب الأصطبل وهذا كل ما يستطيع
عمله ، وجراؤه على ذلك أن أطعمه ، أما النوم
فهو ينام مع الخيول ، وليس يلزمه بعد ذلك
شيء . فإذا كان لديك مروال قديم فاخلمه عليه ،
وستجده بعد ثمانية أيام خرقاً وهلاهيل » فلم
ألح فيما اقترحت مبالغاً في الحيلة والحذر

عاد الصلوك المسكين في المساء يتخلى في
مشيته من السكر ويعربد ، فقد شرب حتى طافح ؛
ثم كاد أن يشعل النار في البيت ، وقتل حصاناً
بضربة فأس ، وفي النهاية نام في الوحل تحت

حينئذ أخذ قلبي يشتد وجيبه ويسرع نبضه ،
وشعرت أن لساني يتعقد ، وأن صوتي يختنق ،
وتفرست في هذا الغايظ الجاني وقد بدا شعره
الكثيف الأصفر أقدر شكلاً من الزبل ؛ وضايقته
نظراتي فكف عن الضحك وأدار وجهه
ثم انصرف

كنت كل يوم أقفل خطاي الوائبة على طول النهر
الصغير ، والفكر المعض في هذا الموضوع لا يبرح
خاطري . ولكن ماذا بغى التفكير ؟ ليس هناك
ما يجلو الشك ويكشف الحقيقة . وكنت أقضي
الساعات بعد الساعات أوازن في موضوع أبوتى
من الأسباب الموجبة والسالبة ، والوجوه
الموافقة والمخالفة . ثم أستغرق في فروض مشكلة
معضلة تمودني على استمرار إلى موقفي الأول من
الارتباب الشنيع ، ثم إلى ما هو أشنع من ذلك
وهو الاعتقاد بأن هذا الرجل ابني

لم أستطع الغداء ، فأويت إلى غرفتي وأخذت
أراود النعاس طويلاً ، حتى أخذني نوم مضطرب
تزججه الأحلام المفرعة والرؤى الخيفة . رأيت فيما
يرى النائم أن هذا الوبس القذر كان يسخر مني
فيدعوني : (بابا) ، ثم تحول إلى كلب عقور وهجم
على ساق يذابه فلم أنج منه إلا بجهد . فافتقني أرى ،
وكان يتكلم ويربب يدل أن ينبج ؛ ثم مثل بين يدي
زملائي أعضاء الأكاديمية وهم مجتمعون ليفصلوا في
أمر أبوتى له . وقد صاح أحدهم بهم : « هذا أمر
لا شبهة فيه . أنظروا كيف يشبهه : » ، وفي الحق
أني لاحظت في هذا المشيخ مشابهة مني . ثم
استيقظت وهذه الفكرة عالقمة بذهني ، فقامت بنفسي

المطر الهاطل بفضل إحسانى وكبرى !

وفي الصباح جاء الفندقى بـرجو منى ألا أعطيه نقودا بعد ، فان الشراب يهبج فيه الشر ويذهب به كل مذهب . ولو وجد فى جيبه صليدين لما أنفقهما إلا فى الخمر . ثم قال الرجل : « إن إعطاءه النقود معناه القضاء عليه » ؛ ولم يحصل فى يديه شئ منها قط إلا بضعة سنتيمات يرميها إليه بعض المسافرين فلا يعرف لها وجهة ولا غاية إلا الحانة !

لم أستطع أن أبقي طويلا مخافة أن ترجنى الظنون وتطير من حولي الشبه ، فرحات والقلب مصدوع والفكر شارد ، بعد أن تركت فى يد صاحب الفندق بمض المال بنفقه على خادمه البائس ليرفه عن نفسه ، ويخفف عنه عذاب مرضه وبؤسه ومنذ ست سنين أعيش مع هذه الفكرة معذب النفس ، مفدوح الضمير ، لا أستقر على شك ، ولا أطمئن إلى يقين وفى كل سنة تقودنى إلى (بون لايبه) قوة قاهرة

وفى كل سنة أحكم على نفسى بهذا العذاب الأليم فأرى هذا الشقى يرتطم فى ردغة الاصطبل ، وأتحيل أن فيه مشابهة منى ، وأحاول عبثا تغيير حاله وإصلاح أمره وفى كل سنة أرجع إلى هنا وأنا أشد مما كنت ارتيايا وعذابا وحيرة ! حاولت أن أثقفه فكان مظلم البصيرة لا يفقه ولا يدرك !

ثم حاولت أن أنفّس عنه بمض كـرّاب العيش فكان سخييف العقل ينفق كل ما يُعطاه فى الخمر ، حتى إذا صغرت راحته باع فى سبيلها ثوبه ثم حاولت ببذل المال أن أرقق عليه قلب سيده ليؤويه إلى ظله ، ويرضخ له من فضله ، حتى داخل الفندقى المعجب فقال يحجّنى بالرأى المعقول والمنطق المفهم : « كل ما تقدمه إليه يا سيدى لا يمود عليه إلا بالأذى والخمر . يجب أن يعتقل اعتقال الأسير ، لأنه متى ظفر ببعض الوقت أو



قضيت فى غرفتى ساعات وفى يدي كتاب مفتوح أظاهر بالقراءة فيه ، ولكننى كنت أديم النظر فى هذا الحسن الغليظ ابنى ! ابنى ! وأبذل الجهد فى أن أكتشف فى ملامحه وجوارحه بمض المشابهة منى ، فكان من طول البحث وكثرة التقصى أن وجدت فيه وفى خطوطا متشابهة على الجهة وفى أصل الأنف ؛ فاقننت بأن هناك مشابهة يخفيها اختلاف اللباس وذوائب الرجل

ولكن يدي لم تمس يده القدرة الكريمة قط

ثم سكت رجل الأدب وعضو الأكاديمية ،
وتكلم رجل السياسة وعضو الشيوخ قال :
« نعم ، يجب علينا حقاً أن نعتي أكثر مما عندنا
بالأطفال الذين لا آباء لهم »

وهبت نفحة من الریح على شجرة الأبنوس
الوريفة الصفراء فحركت عناقيدها ، ثم علقت
الكهلين السديقين بنفاعة من ذرورها المطرى
الدقيق فاستنشقا ملء رئبتهما أنفاساً طويلة
ثم ختم عضو الشيوخ المحترم الحديث بقوله :
« ما أجل أن يكون الانسان فى سن الخامسة
والعشرين وإن ولد أولاداً كهذا : »

الزبات

بعض المال انقلب شريراً لا يقام لهيلة . وإذا
شدت عمل الخير فلن تعدم الوسيلة إليه . اذهب
إلى ملجأ اللقطاء فاختر من بينهم طفلاً يساوى
أميك وبكى : إحسانك »

ماذا تقول فى هذا ؟ إذا تركت هذا الرجل
يسل بظنونه إلى الشهمة التى تلوع قلبى وتسكدر
حياتى انقلب حبيثاً ولا شك يستغنى بالتهديد ،
ويعرضنى للخطر ، ويلقىنى إلى التهلكة . سيفصيح
بى : (بابا) فى القنطة . كما صاح فى الآخر : (بابا)
فى الحلم

ثم قوت فى نفسى : لقد قتلت الأم وأضمت
هذا المخلوق الهزبل الضارع ؛ تلك الدودة التى
نشأت فى الاصطبل ودرجت فى الوحل ؛ ذلك
الرجل الذى لودى ربة غيره ، السكان اليوم
رجالاً مثل غيره

إنك لا تستطيع يا سديق أن تتصور الشعور
الغريب المهم الملح الذى يستولى على وأنا أمام هذا
الرجل أفكر فى أنه نسل منى ، وأنه وإبلى
مرتبطان بالوشائج الخاصة التى تربط الولد بأبيه ،
وأنه بفضل قانون الوراثة الغريب هو (أنا) بدمه
وباحمه ويأب شئ . آخر ، وأنه يشاركنى فى كل
خصيصة من خصائصى حتى فى جرائم الأدوية
ومناشئ الأهواء ومنازع الخلق

أنا أنظماً دائماً إلى رؤيته ، ورؤيته تمزق أحشائى
وتزيد همى . فأنا أراءى بطرى من النافذة ساعات
وساعات وهو يعمل فى أرواث البهائم فأردد فى
نفسى هذا الهتاف : « هذا ولدى ! » ، ثم أشعر
فى بعض الأحوال برغبة شديدة فى أن أعاقه ،

رفائيل

شاعر الحب والجمال لامرأتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزبات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر ، وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهر العبقرية للأمة العربية
الرسالة تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الدفلي سنود قرشاً ، والخارجى ما يساوى منها مصرياً .

وللبلاط العربية تخضم ٢٠ ٪

قصة مصريّة

نفسيكّة

مد سنا زابراهيم عبدالقادر المازني

بالأعياء كلها اقتصاداً في
المفقة ؛ فكانت هي تطبخ
الطعام ، وتسكس غرف ،
وترب الأثاث ، وتخييط لنا
الثياب ، وتصنع كل شيء ، إلا
أن تخرج لشقري الأشياء
التي نحتاج إليها طعامنا ؛

فقد كان جل من أتباع أقرابنا الذين يقيمون في
أجنحة أخرى من هذا البيت الكبير يقوم لنا
بذلك . وكانت عمّة أبي معنّا ، ولكنها كانت
محجوزة تهرت المسألة ، وكانت تجلس وساقها
مددوتان أمامها ، ورأسها مستند إلى وسادة ،
وليس لها عمل الدوران ؛ وكان كلامها هذياناً فكانت
أضحك منها أحياناً ؛ ثم أمل ذلك فأتركها لهذرها
الذي لا ينقطع

وكانت إذا شعرت بالشوق إلى مكاة أحد
أنحدر إلى فناء البيت ؛ وكانت فيه غرف كبيرة
يقوم فيها أربع الشيخ قريبنا ويحيون الليل بقراءة
الأوراد . وكانت هناك أيضاً ميضأة ومصلى فكانت
إذا رأيت الشيخ مقبلاً أندس بين المصليين وأروح
أفب وأركع وأسجد كما أراهم يفعلون . ولكن
هؤلاء كانوا يروني صديقاً صغيراً فينظرون إلى
ويبتسمون لأن أفواههم مشغولة بالتمتمة —
ولكن لا يكلموني . غير أنه كان هناك في أكبر غرفة
في الفناء رجل ليس من الأتباع ، ولا هو بعينه
أمرهم أو يشار إليهم فيما يصنعون . ولا أدري إلى
هذه الساعة كيف سكن هذه الغرفة ؛ فما كان يعطى
الشيخ شيئاً ، وكان الشيخ يستدرك أن يؤجر
بيته أو بعضه . وكان هذا الرجل يصنع أضرار

نشأت في بيت لم أكن أجد فيه من يكلمني
لا أقله في أهله ، ولا ليكم بعد أنفسهم . بل لأن
مشاغلهم كانت تصرفهم عني . فمهدت جدتي
— لأبي — كانت لا تغارق السجادة — أو المفروقة
على الأصح — وفي يدها السجدة التي لا أذكر أن
الخيوط الذي ينظم حياتها انقطع ، وشفتها لا تكفان
عن الحركة والتمتمة بما لا أعرف من الأدعية والصلوات
على النبي وما أكثر وأطول . ما كنت أقعد أمامها
محدقاً في هاتين الشفتين اللذبتين دؤوب الليل والنهار .
وكانت ربما التفتت إلى فننهم وتذبذبني منها وتمسح
لي رأسي ثم تدهط يديها بالدعاء إلى الله بصوت يريه
الضعف وترجعه الحسرة ويهدجه الألم والأسف الصرنا
إليه بعد وفاة أبي . ثم تربت على كتفي وتميل على وجهي
الصغير بفمها الأدرد وتقبلي فتخرج شفتها صوفاً
كهذا : « مق » . وتلك أمي لا تزال مصروفة عما يشئون
البيت من طبخ وغسل وكس ونقص ، ومن حمام
نسقيه ونظفهم ودجاجات لا تنفك تجس حوصلاتهم ،
أو تصبغها لتري فيها أم ليس فيها بيض ، أو تنف
ريشها . وكثيراً ما كنت أفب أنظر إليها وهي
تتناول فراخ الحمام وترققها أي تمج في مناقيرها
الماء والحب . ولا آخر لعمل السيدة في البيت .
ولم يكن لنا في ذلك الوقت خادمة ؛ وكانت أمي تنهض

الطرايش ؛ فكان بطيب لى أن أجلس إليه
 ألاحظه وأحادثه ، أو أستمع إلى حديثه وقصصه ؛
 وكان يحادثنى كأنى رجل كبير لا طفل صغير ، وكان
 يبرم خيوط الحرير المصبوغة ويفتلها ويمقد أطرافها
 ويجمع كل بضعة خيوط معاً ثم يثنها ويربطها ، ثم
 يدقها على قالب من القوالب التى تتخذ على
 الطرايش . وكانت هذه الخيوط رائحة لا أزال
 أذكرها ، وإنى لأجدها الآن فى أنفى وأنا أكتب
 ذلك . وقد علمنى صناعته فكان يدع لى الخيوط
 فأفتلها وأرستها وأعقد أطرافها وأفل مثل ما أراه
 يفعل بالمدق على القالب . ثم يعود لى فينظر فيما
 صنعت وبصالح لى أخطأى أو يثنى على حذق . وكان
 يكل لى " ذلك كلما قام لأعداد طعامه أو خرج
 لشرايه . وفى وسعى أن أقول بلا مبالغة أنى فلما
 تمشيت إلا معه ؛ فكنت أصعد فأجىء بطماهى
 وأضيقه إلى ما عنده ، فبأكل معاً . والسكنى لم
 أكن أصنع هذا إلا إذا كان عندنا طعام يليق أن
 يقدم إلى غريب ؛ أما إذا كان فولاً أو عدساً أو ما هو
 من هذا القبيل فقد كنت أخرج فأشتري زيتونات
 وشيئاً من الجبن « والحلاوة الطحينية » وأعود بها
 إليه فيؤنبنى على فعلتى وينهاى عن العود إلى ذلك ،
 فأصارحه بأن طعامنا الليلة فول أو عدس وأنى
 لأحبه ، فكان يحدث أن يقول لى إنه يحب هذا
 الطعام ويرجو منى أن أصعد وأجيبه بشئ منه
 فأستغرب والسكنى أطيع . فلا عجب إذا كنت قد
 أحببته وألفته . ولم يكن أغرب من هذه الصداقة
 بين رجل جاوز الأربعين وطفل فى التاسعة من
 عمره . وقد ألفتى كما ألفتة وتعلق بى كما تعلق به ،
 فكان ينادىنى إذا أبطأت عليه فاستبطنى الزول على

الدرج وأركب الدرازين لأن الترحلى عليه أسرع
 وكانت له بنت أخت تزوره من حين إلى حين .
 رأيته أول مرة فى ليلة شتوية كثيرة الطر شديدة
 البرد ، وكنت ألعب فى الحارة ، فلما أخذ الطرينهم
 فجأة ذهبت أعدو إلى البيت . ولحمت وأنا أجرى
 ضوء أنى غرفة صديق فاستهيت أن أخبره أن السماء
 تعطر وأن الريح تمصف . ودخلت الغرفة ثم وقفت
 على العتبة فإريت الصباح المألوف وإعاً رأيته نادراً
 موقدة ؛ وكانت السنة اللبيب عالية فرأيت أول
 ما رأيته كلفاً يدت لى كأنها - لسان النار من
 ورانها - مرجات شفاف . وطالعتى محيا فتاة
 صغيرة على هذا الضوء المضطرب فرأيت شعراً
 أسود يتوهج هنا وهناك ، وضفرتين فى طرفيهما
 خيوط من الصوف تسج عليهما الشعر استراحتهما
 على جانبي الصدر ، وألقا فى عرنيته تنوء قليل وفى
 مارنه لين وفى أرنبتها اشتاء إلى فوق ، وعينين
 ضيقتين طويلتين مائتين بمص الميل ؛ وكانت الحدقتان
 ناعمان كأنهما نطلان من شقين وفى نظرتيهما من
 وراء الأهداب الوطفاء معانى الرضى التام والسكون
 العميق والاعتباط الذى لا سبيل إلى العبارة عنه .
 وكانت هذه المعانى على الفراء أيضاً ، وكانت الشفتان
 رقيقتين وفى العليا منهما ثلثة بيضة وهنة دقيقة ثابتة
 فى وسطها ، وكانت عليهما ابتسامة أبلغ فى العبارة
 عن السرور من الضحك المججل ، وكان خط
 الشفتين موازياً لميل العينين ؛ وقد جبل إلى وأنا أنظر
 إلى هذه الابتسامة المرتسمة على الشفتين التلامستين
 كأنهما هى معلقة على ما تعضن على جانبي الفم ؛
 وكانت بحيفة الوجه عريضة عند الوجنتين ولكنها
 تنتهى بدقن دقيق ، وفى الديباجة حسن وفى الخدين

كانت لهجتها هادئة وحالها بادي الوفاة كما ينبغي أن تكون الحياة

وكنت أسألها أحياناً وأنا لا أجد كلاماً أقوله لها غير ذلك : « هل تعلمين الجبل ؟ » . ولا أسفني إلى جوابها بل أروح أفكر في جمالها وأعجب له . وأسأل نفسي مستغربة : « ماذا وراء هذه العين يا ترى ؟ لماذا أراها سعيدة دائماً بلا سبب أعرفه ؟ » وأشتهي أن أسألها عن ذلك ، ولكنني آس من نفسي حيناً وأسكت

ومضت الأيام وتماقبت السنون وكبرت وعرفت الأدب والقراءة ، فصار كل ما أقرأه عن الحب في شعر الشعراء وفي وصف الروائيين يدور حول ذكرى ناني القليلة منها ، وابتسامتها الساكنة ووجهها الجميل وسعادتها الهادئة . وكان زملائي في المدارس يذكرون مفاسرهم ويتحدثون بها ويباهون ، وكانت أما أسمع وأسكت وأتدري بأن هذا الذي يلهجون به ليس من الحب في قليل أو كثير ، وأقول لنفسي إنني أعرف ما لا يعرفون . وأعرف ما أعرف بالتجربة . ومع ذلك لم يحل هذا الصدر من أي شيء مما يسمونه المغامرات ولكنها لم تكن كثيرة أو باعثة على الرضى . بل كانت على النقيض سبباً في السخط على نفسي واحتقارها فأليت لأنصرفن عن هذا العبث . وأقامت على الدرس والتحصيل ، واشتغلت بالشؤون العامة فصرت أحضر جميعات الخطابة . بل ألفت مع إخوان لي جمعية للخطابة ؛ وعزيت بقراءة الصحف فكانت على صفري أقرأ كل يوم ثلاث جرائد سياسية ، وكنا جميعاً من أنصار مصطفى كامل وعشاقه في ذلك الزمان

رى وأسالة وبضاعة ، أما العنق فطويل مستدير ، وأما الذراعان - وكأما معتمدين على الركبتين - فمستدقان

وقفت أحرق في هذا الوجه الذي أضاعته لي النار المضطربة الخفاقة الممان ؛ وخيل إلى وأنا أنظر أنني لم أرقط أجمل ولا أبرع من هذا الحسن . وراعى على الخصوص ما على الوجه من آيات السرور الباطن ، فألفيتني أتأمل : ماذا ترى يسرها وهي قاعدة وحدها تدفأ . . . ومن أين جاءت يا ترى هذه السمادة التي تومض بها عيناها وتثني بها هاتان الشفتان الصامتتان . . . وأحسست أن أنفاسي أسرع وأن الدموع تجول في عيني ، فقد كانت الفتاة جميلة وكانت الروعة قد غمرت صدرى - بل ملأ قلبي الخوف كأنما أنا أشهد الحياة نفسها لا إنساناً فانياً منلى . وارتفع لسان النار خفاً وخفق ضوؤها على محياها الباسم ، تخيل إلى أن الدم يجري كاللجنون تحت جلدها الرقيق . وكانت هي ساكنة لا تتحرك ولا تراكبها ابتسامتها الهادئة المرتسمة على عينيها الضبقتين المائلتين وفيها الطبق الشفتين . نعم . كانت الحياة نفسها تنظر إلى من عينيها . . . وبمعيها رأيتها بعد ذلك مرة أو مرتين في نحو عام . وعلت من صدقي خالها - أنها بتيمة وأنها تقيم مع عمها وتزور حلها أحياناً - وأكثر ما تكون الزبادة في الصباح حيث أكون أنا في المدرسة ، ولكنها لا تبقى معه إلا ساعة أو بعض ساعة . وقد حاولت أن أكلها ولكنني كنت أستحي أن أطيل الوقوف معها أو الجلوس إليها ، وكانت هي تحرق في وجهي ولا تطرف حين تكلمني ولا أذكر ماذا كانت تقول ، وإنما أذكر كيف

ثم جاءت الحرب العظمى فشفنا بأناسها ، وبالاختلاف على نتائجها المحتملة وبالخوف على أنفسنا من الجواسيس والاعتقالات التي كنا لا نأمنها ، ولا نستطيع أن نعرف الطريق إلى اتقانها ، ولكن يوما من أيام تلك الحرب أذكره ولا أنساه . وكان لي صديق داره قريبة من دارى ولم يكن معه أحد في بيته ، وكان المسهر محرما بعد الساعة التاسعة . فكنت أقضى عنده المسهرة في الأغلب ولا سيما في الصيف فأراني يوما مسدسا ورصاصات ، فحملنا نندرب على اطلاقها ونرى بها باب الحمام ، ولم تكن نحشى أن يسمعا أحد لأن البيت كان بعيدا عن المار . ثم افترقنا . واتفق أن زارني بعد ذلك ونسى عندي مسدسه ولا أدري كيف كان يجترى على حمله معه . فوضعت المسدس في درج المكتب ونسيت به . وتكدست فوقه الأوراق على الأيام . فحدث يوما أن جاءني صديق وثيق الصلة بالسلطة العسكرية ، وأخبرني أن بيتي سيفتش الليلة ، فشكرته ولم أعر الأمر اكترانا لأنه ليس في بيتي ما أخشى على نفسي منه . فلما كان المساء جاء ضابط انجليزى ومعه من المصريين ضباط وجنود ، فدخلوا المكتب أول ما دخلوا ، ورأى الانجليزى الكتب الكثيرة على رفوفها ، فأقبل عليها يتأملها ، فألقاها كلها كتب أدب ، فحمل بعضها وينظر إلى ، ثم سألني عن عملي فقلت « مدرس » فاطمان واعتقدت ما رأى أنى رجل مأمون الجانب وأرسل المصريين بفحصون بقية البيت ووقف هو ممي في غرفة المكتب ، ثم دنا من المكتب وجعل يقلب ما عليه من الأوراق المنتشرة بغير احتفال ، ثم فتح درجا وألقى عليه نظرة ثم رده وشدد الدرج الثانى — ولم تكن الأدراج مقانيج

— فحمد الدم في عروقي ، فقد تذكرت المسدس خاة . ولم أستطع من فرط الجزع أن أدعو الله أن ينقذنى ، وكان الاعداء عقوبة من يحمل سلاحا كهذا بالترخيص — أو هكذا أعلنوا — ولكن الله سلم فرد الرجل الدرج ، وكان زملاؤه قد عادوا خيا والصرف وهو يتنسم ، وأمله كان يستند أن نكايته تفنيس هذا البيت سخافة مطبقة

وما كادوا يذهبون حتى أسرع إلى المسدس فعدت به في بستان مجاور لبيتنا وتشهدت . ولم أطق البقاء في البيت بعد ذلك من فرط الاضطراب فخرجت أعشى على غير هدى ، وإذا بي في بعض الطريق — طريق حدائق القبة — ألتقي بفتاى القديمة — عرفتها على الرغم من طول الزمن وعرفتني من كذلك ولم تنكرنى ، فصحت بها كالأبله « نفيدة . . أنت . . »

فابتسمت لى ابتسامتها القديمة الهادئة ولم ترد ، فقلت لها « من أين وإلى أين » قالت « إلى البيت » فمشيت معها إليه . وكانت شقة في عمارة عند « المحمدى » فدعتنى ، إلى الدخول فلم أتردد ، فاما صديقان قديمان . ولم أرى بينهما غيرها فلم استغرب فأتتهما بتيعة ، ولكنى لم أعرف من أين جاءت بهذا الأثاث الحسن وإن كان قليلا وعلى قدر الحاجة . وانفقت معها على يوم تخرج فيه للتزعم في القناطر أو حديقة الحيوانات فهزت رأسها أن بعد فتركها ولم أسألها عن حالها وكيف تعيش

والثقينا في الموعد المضروب . وكان النساء يتقمن في ذلك الوقت ولا يخرجن إلا في الندرة القليلة بوجوههن سافرة ، فركبنا عربتا بحرها جوادان هـ بلان ومضينا إلى حديقة الحيوانات ،

الأيام ما أقنعني أنها ليست الفتاة التي أحببتها في صغري . إنها لا أكثر ولا أقل من امرأة كغيرها من النساء . ولا أدري الآن وأنا أكتب هذه السطور أي شيء كنت أحسبها قبل أن أتبين أنها ليست سوى امرأة ، ولكن الذي أدريه أنى ظلمات أحسها على الرغم من ذلك وأنى جمعت أحاول أن أقنع نفسي بأنها كما كنت أتصورها — على الأقل في حقيقتها السكامة ، ولكن حتى أقدم لها تغير فلم يعد فيه تعلق بخيال بل صار حباً لامرأة معينة . وليس في هذا ما يدعو إلى العجب فإن الرجل يحب المرأة لأسباب امرأة ، ولأن فيها من يواثي الأغراء ما يكفي لأثارة الرغبة فيها والتعلق بها ، ولكن هذا شيء لم أكن قد تعلمته في تلك الأيام فرزقني الله في شخص « تيميدة » معلماً لا يفتقر ولا يتردد ولا يترقب بالمثل العليا وصور السكال وغير ذلك من الأفلاطونيات السخيفة . وكان أول ما تعلمته — أو من أول ذلك — أن من الممكن أن يحب الرجل حباً عميقاً طامعاً امرأة لا يحترمها ولا يرى لها ضرورة ولا يتطوى لها على إكبار أو مودة أو صداقة ، ولا يستطيع أن يتفاهم معها ويشاركها في نفسه وخواطره وآماله وخوافه وعواطفه . امرأة لا يرى فيها إلا أنثى منحطة . بل امرأة يشعر بالشقاء وهو إلى جانبها وبالملل والشجر من قربها وحديثها . ثم تعلمت ذلك . وكان هذا لما تعلمته شيئاً فشيئاً يبدو لي مدحشاً وبخيل إلى أن الحال فيه مقلوب والآية معكوسة ، ولكني الآن أضحك من نفسي وأسألها : ولم لا يمشق الرجل بالله امرأة كهذه ؟ وأن ترى أني كنت أعيش يومئذ فلم أر أن كثيرين من الرجال يمشقون نساء ليست لهن أية منبة .

وجلسنا على دكة منمالة ، وقضينا أكثر الوقت صامتين ، ثم فتحت في حديثها عن الزمن الماضي وحي الصبياني لها وكيف طال عمر الحب وامتد إلى الحاضر فلم ترد على أن تسمت — كعادتها — وقالت « لا أدري لماذا أرى الناس يحنون لي » فأحسست أن لوجاً كبيراً من التلج يوضع على قلبي . . . الناس يحنون بها . . . الناس . . . إذن هناك يحنون . . . أو يحنون بها غيري . . . ودار رأسي وذهبت أسائل نفسي عنها كيف تعيش . . . ولم يخطر هذا من قبل وإنكبه خطر الآن . . . نعم كيف تعيش هذه التي يحن بها الناس . . . وأن وكيف ترى هؤلاء المحانين كلهم . . . لا بد أنهم كثير . . . فمن أين يحنون . . . إلى أما صديق صباها فلا عجب إذا كنت أعرفها . . . ولكن غيري . . .

وقطع على هذه الخواطر المزعجة سوداني في ثياب الردنجوت . وكان كهلاً وإنكبه عشي معتدل القامة كالرمح قدما منها وحياءاً باسمها وسألها عن حالها وعينه تومض ، فردت عليه رزانة وسكون ومن غير أن تفارقها ابتسامتها المطبوعة ؛ ولم يطل الوقوف فمضى عنا وقد عرفت منها أنه صابط في الجيش وأنه الآن فيما يسمى الاستبداع وإن بيته في العباسية — قرب « الحمدي » فلم أقل شيئاً ولكني قلت — أو على الأصح زدت قلماً وصرت أناجي نفسي بأن تعمل هذه طريقة حياتها . . .

وتعددت المقابلات بيننا والخروج إلى الحدائق العامة وكانت أعود بها إلى بيتها في الليل فتدعوني إلى مقام قايل فأنبى وينذهب نتحدث كأننا رجلان لا رجل وامرأة ؛ فرأيت منها شيئاً فشيئاً وعلى

وأنها لا تصلح لى ولا أصلح لها لأنها لا تفهمنى
ولا أنا أبضاً مع الأسف أستطيع أن أفهم هذه
الطبيعة السادية التى يكون فيها الجمال سياراً لكل
ما هو منحط ...

وكانت تدعونى كل ليلة الى دخول بيتها حين
تعود إليه ، وكنت ألبى فى بعض الأحيان فأقعد معها
كالصنم من شدة الكبح فلا تلبث أن تتنأب
فأقوم وأنصرف فلا تعنى بأن ترافقنى الى الباب
فيسومنى ذلك والى كنى أراجع نفسى وأقول أنه ليس
بيننا كلمة فأننا صديقان قديمان . فقالت لى ليلة وقد
دعونا من البيت : « لا تنضب إذا لم أدعك الى
الدخول » فسألها بوقاحة : « هل هناك عبرى ؟ »
فلم يـؤـهـا ذلك ولم يظهر عايتها بالامتعاض منه ،
وقالت بابنة سامتها الهادئة : « يحيل الى أنك لا تحب
الوجود مـى فى البيت ... شاعر ... تحب الرياض
والبساتين والماء والسماء والنجوم ... أليس
كذلك ؟ » فضحكت وإن كنت لم يفتنى ما فى
كلامها من التهمك والزراية وحدثت نفسى أن هذه
دعوة صريحة لا يابق أن أغضى عنها مخافة أن
يودى الاعضاء الى القطيعة والجفوة . . . وكانت هذه
مغالطة نى لنفسى فقد كنت أما أريد ذلك والى كنى
كنت أصرف عنه نفسى وأفطمها بجهد فقلت :
لها : « بل سأدخل الليلة — إذا سمحت بالطبع —
وسترين ألى أحب بيوتك كما أحببك . . . وإلى آنس
بك فيه أنسى بك فى الرياض وفى الزورق السابح
على وجه الماء ... »

قالت : « صحيح ... »

وأحسست من نبرة صوتها أنها ارتاحت الى
كلامى وأنها استغفرتنى فى الوقت نفسه .

نساء هن فى الحقيقة كوم عظيم من صنوف
الانحطاط ... ونساء يحزن رجلاً ساقطين منحطين
لا يساوى الواحد منهم ملء أذنه بحالة ... والى كنى
كنت فى ذلك الوقت أعتقد أن الحب شىء سام
جداً وأنه سساوى لا يشفى أن يحاطله إلا الإعجاب
والعبادة

وكانت كل لحظة أفضيها مع نفيدة تربدى إيماناً
بأنها عاجزة عن السمو بنفسها الى المرتبة التى وضعها
فيها فى حدائى ، وكان يرعجنى وينغص عينى ويسود
الذنا فى عيني هذا التباين بين الواقع والصورة
القديمة التى احتفظت لها بها فى نفسى . . . وتغير
حبى لها كما قلت واشتهيتها وصبوت إليها والى كنى
هذا التحول لم يعنى من التفتيص والمذاب وقد
كنت أخجل مما صرت أحسه لها وأعنف نفسى
على ذلك وأزجرها عنه . وكانت هى ترى ضبطى
لنفسى ورياضتها لها على العفة وتملقى بخيالها
وسخافاتى وأوهامى فتتمتع وتظهر لى التأفف
والتهرم ولا تكتمنى الضجر الذى يشيره حديثى ولها
المذمر فقد كنت أرتفع بالكلام عن طبقتهما وأركها
على الأرض وأذهب أحاق فى أجواء لا تستطيع
أن تذهب ورأى فيها . . . وكنت أنشدها ما أقوله
فيها من الشعر فيسرها أنها وجدت شاعراً يحبها
كل هذا الحب ويتغنى باسمها وأن يقرأ الناس
ما يقوله فيها وما يعصف به وجده لها ، ولعلها
كانت ترى فى هذا إعلاناً . . . ولكنها لم تكن
تفهم ما أنظم أو تقدره ؟ وكثيراً ما كانت تحط
شفتيها ساخرة . . . وباربعاً قالت لى : « ألا تستطيع
أن تقول كلاماً حسناً ؟ » فأهز رأسى وأقول لنفسى
إلى وقت وقعة سوداء وأنى يجب أن أصدغها

من زمن طويل قبل هذا أنها غير تلك التي كنت أحلم بها وأنها ليست إلا امرأة عادية جداً لا أكثر ولا أقل . . . وهبني اطلمت على ما كانت تخفى عني فهل يزيدني هذا علماً بها ومعرفة لحقيقتها ؟ كلا . . . ولم يكن هذا المنطق يقنعني أو يريحني ولكنه كان المنطق الذي اضطررت إليه وسكنت على رغبتي . على أن الأمر لم يطل فقد جاء يوم اعتذرت لي فيه بأنها مسافرة فاستغربت ، ثم أعرف لها من تسافر إليه ، ولكنني سكت ولم أقل شيئاً . ورأيتهما بعد أيام فسألتهما عن رحلتهما ورجوت أن تكون كما أشتيهي لها ، فقالت بضجر متكاف لم يخف على : « أوه أبدأ . . . كانت رحلة مملة . . . إنك تعرف هؤلاء الفلاحين وكيف يعيشون . ليس في حياتهم أي تسلية »

ومضت أيام فمادت تمتد من التخلف عن اقائلي لأنها مدعوة في بيت صاحبة لها ، فلم أجادل وتركتهما . وتكرر بعد ذلك الاعتذار وتوالي انقطاعها عني ، وكنت أحياناً أقسم أن أهمهما وأبقى أياماً لا أسأل عنها لأعرف أعادت أم هي لا تزال مع هؤلاء الذين ظهروا فجأة في حياتها ولم أسمع بهم مرة واحدة قبل ذلك كل هذه الشهور . وأحياناً كنت أضرب فأذهب إلى بيتها فتفتح لي وتلقاني كأنها كانت معي قبل ساعة ولا تسألني لماذا غبت ولا ماذا كنت أصنع وكيف كنت أقضي الوقت . لا . . . لا شيء من هذا على الإطلاق فأشعر بالغصة ولكنني أكنتم الألم . .

وقالت لها مرة وقد همت بالاعتذار من الاضطراب إلى إرجاء لقائني : « لماذا تكذبين علي ؟ » فلم أر أن حدثني أو ألغاطي الوقعة اغضبتهما ،

ودخلنا وأغلقت الباب وراءها كما ذهبت فلم أبق لها بل طوقتها بذراعي في الدهايز وقبلتها . . . على خديها فأدارت وجهها ومنحتني فيها . . . وكنت أسخط على نفسي بعد كل ليلة وأرمنيها - نفسي - بالأخطاط ، ولكنني ألفت ذلك فصار الأمر عادة كالتدخين وغيره مما يمتاده المرء ويتأفف منه ويود لو كف عنه مع ذلك ولا يكاف نفسه جهد المقاومة وعناءها . وبقيت هكذا زمناً غير قصير وعرفت أن لها أصدقاء غير قايدين فقد كنا نلقاهم في الطريق فيومثون إليها بالسلام فتبتسم لهم ولكنهم كانوا لا يدنون منها ولا يكلمونها كما فعل الضابط السوداني في حديقة الحيوان . ولم أكن أعياً بذلك فقد كنت أرى أنني مفرد بها وإن كنت لا أعلم ماذا أصنع في غيابي ، ثم كان يسمى أن أظل معها كل ساعة . وكنت أروض نفسي على الاطمئنان والثقة لحاجتي إليهما لا لأنني واجد ما يدعو إلى الثقة والاطمئنان . والمرء في تجربته للحياة يضطر إلى خداع نفسه ومغالطتها في الحقائق - أو ما يعتقد أنه الحقيقة ليستريح قليلاً . ويتصور كيف تكون حياة من لا يزال فأنحاً عينه متربصاً مترصداً المحيط بالعيوب والمخازي ، ومن لا ينفك يستمع إلى ما يهمس به في أذنه سوء الطن الطبيعي . . وكثيراً ما يكون المرء على حق في سوء ظنه . ولكن المرء يعرف بالتجربة أن وساوس الظنون تنفي كل راحة وتحيل الحياة جحيماً . . . يضنيه التعب فيطالب الراحة ويعرف من تجربته للناس أن الناس سواسية فينتهي بأن يقول لنفسه إنه ليس موكلًا باصلاح السكون وأن الأولى به أن يريح نفسه ويمضيها من العناء الباطل . وماذا كان يمنيئني من أمرها في غيابي وأنا قد أيقنت

وكأنى كنت أحبها وأثنى عليها فقالت : « إنك ظريف » ظريف ... أهدأ ما تجيب به حين أنهمها بالكذب وأرى باللفظ الجارج في وجهها ..

وكنا قد دخلنا في الشتاء وكنت أعرف أنها لا تحب أن تكون في غير بيتها بعد المشاء على الأكثر ، فذهبت إلى قهوة قريبة من مدخل الحارة وقعدت عليها من الظهر لأرى ما يكون . وانحدرت الشمس وأنا لا أرى شيئاً ؛ نعم رأيت ناساً كثيرين راكبين أو ماشين وباعة متجولين ومركبات الخيل ولكنى لم أرها تدخل أو تخرج . وكانت نفسى لا تفتأ تنازعنى أن أنهض منصرفاً وكنت أحدثها بأن من السخافة والحفاة أن أنهب نفسى بهذه الجلسة الضنية لأعرف ما أعرف . وهل في الأمر سر ... أليست قد ملتنى ونبت بي وجففتى واعتاضت منى سواى كأنى من كان هذا السوى .. وما حاجتى إلى علم ما أعلم ... ولماذا أحقر نفسى وأصرغ وجهى في التراب وأضعه عند قدمى امرأة سوء كهذه .. وأهم بالهوض ولكنى أحس كأنى قد سمعت إلى السكرمى أو لصقت به ، ويتجسد وهى حتى لا تأفت كأنى أريد أن أرى المسامير أو الغراء أو غير ذلك مما ربطنى بالسكرمى والزمنيه فأنا لا أقدر أن أنهض عنه ، وبضحكى أمرى أحياناً ثم تغلبنى السكابة والحزن — على نفسى وعالمها — ثم أرانى غصبت وثرث وهاجت تنمى على هذه المستهرة التى لا تبالى ولا تدرك ثم أراجع نفسى فأسألها : « ماذا تريد منى أن تبالى ؟ أمن العدل أن أطالبها — أو أتوقع منها — أن تحفل ما لا تدرك ... » واستسخرت من نفسى أن أروح أنتظر من هذه العامية — على الرغم من أنها تعلمت شيئاً — أن ترتفع بنفسها إلى حيث ارتفعت أما ،

ثم أراجع فأقول : إن المسألة ليست مسألة تعليم أو ثقافة وإن كان التعليم يهذب ، وأن هناك أميات كثيرات هن جميعاً أرفع منها وأسمى وأشرف وأعظم فطمة واحد ذكاً ، وأن العبرة بالطباع والمول على الفطرة ..

وانقضى النهار في هذه المواجهات أو الخواطر وأقبل الليل ومعه البرد فاحتجت أن أقوم وأن أتمشى لأشعر بالدفء فرحت أتمشى في الحارة ودينى على بيتها وأنا في حماية الظلام فسمعت بعد قليل صوت باب يفتح ويفتح فدنوت على أطراف أصابعى فإذا هو بابها وإذا الخارج منه هو الضابط السودانى وكاد ليحترق في الظلام ، ولكن الباب فتح مرة أخرى وخرج منه صوت كهذا « هسسسس » فوقف الرجل وتأفت ثم كر راجعاً ووقف أمام الباب ، وكنت على مسافة مترين منه فأدبرت ظهرى إليه ولويت عني لأكون أقدر على السماع فسمعتها تقول له :

« الساعة الثالثة تماماً ، فاني أخشى أن يحبى ذلك الثقيل للسؤال عني .. »

فشيت ولم أفق لأسمع رده

ابراهيم عبد القادر المازنى

آلام فرتر

الشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد محمد الزيات

وهى قصة عالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

وتعنها ١٥ قرشاً

فأرادوا أن يسمروا
بالحكايات كما تروى في
السكرت ، ولكنهم لم
يفتح على واحد منهم
بابتداع حكاية مسلية .



عبد القريب بقية الاستاذ عبد الرحمن صديقي

كان ذلك في أوائل الصيف في قصر
بانييل ، والحريف مطير حزين ، والأوراق
المنتشرة ذابلة محمرة لا يسمع لها تقصف تحت الأقدام ،
بل تعطن في السكك عمارج العجلات تحت شآبيب
الديم المطالة

ومضى الصيادون يقصون ما وقع لهم أثناء صيدهم
بالبنادق وتقتيلهم الأرانب ، وجعات الغنائيات
بكدون أذهابهن وبتقصين في تنانها فلا يجدن
خيالاً خيل شهريزاد يسمعن بحكاية من أمثال
حكايات الف ليلة ، وكادوا يكفون عن الأحاديث .
وكانت إحدى الغنائيات تعبث
خاية البال بيد عمها المعجوز ،
وهي عائس لم تزوج ، فاجعلت
خانماً صغيراً من شمرات شقراء
كثيراً ما وقع ناظرها عليه من
غير أن تفكر لحظة فيه



فما أنشأ وهي تدبره في
أسمها بالظ : « أوقات لنا
يا عمي ما هذا الخاتم ؟ السكك
شمر غلام يافع . . . » فاحمارة
وجه العائس ثم اصفرار ، وأجابت بصوت
مهذج : « إن الأمر محزن جداً ، محزن جداً ،
حتى أنت أحب الكلام عنه . وكل ما في
حياتي من الشقاء فهذا مصدره . لقد كنت
في غمرارة الشباب وقتئذ ، وما زالت تلوعني
الذكرى حتى ليغلبني البكاء كلما خطرت في نفسي

وكانت الغابة وهي جرداء بلا قليلا تشبيه
الحمام من الرطوبة . فدا أوعلت وبها تحت أفنان
الدوح العالي يصفقه وأبل المطر
تبتاك رائحة محمّة وهبوه ماء ، من
المشب الخضل والأرض المبتلة
والصيادون حداة الظهور
يدبون تحت هذا الفيض المبتون ،
والسكك محزونة ذباها مرسل ،
وشمرها مانصق بآطالها ،
والغنائيات الصائدات في أثواب
الصوف المفصلة لاصدة مشربة
بالبال ، وهم كل مساء يؤوبون من
الصيد أنضاء عريم وعقل أجمعين

وفي البهو السكرت بعد العشاء يجتمعون إلى
امبة الورق متقارعين ، من غير انبساط ولا لذة .
وللريح في الخارج هبات مدوية تدفع في مصاريع
الشبابيك المغلقة ، وتبتدر دوائر الهواء فوق
الأبراج فاذا هي من دوران كالخندروف المدوم

القيمتان في القصر تجدان الأمر طبيعياً أطول ما قر الحب في تقاليد الأسرة . فالوضوح ما دام محور العشق فليس فيه ما تنكرانه وتمجبان منه . وإذا دار الحديث أمامهما عن هوى قامت الموانع دون قضاء إيامانه ، أو عاشقين قد ما بينهما أو وقائع الانتقام من الخيانة أو نقض العهد ، قالتا معاً في لهجة شجية : « له الله ! أو (لها الله !) لشد ما قد تألم ولا ريب حتى بلغ الأمر هذا المبلغ » ثم لم تزيدا على ذلك . وإيهما الترقان لمآسى الحب ، ولا تنقمان قط على أحبابها ولو أجزموا

إلا أنه في ذات خريف كان بين المدعوين للصيد شاب في عنفوان الشباب ، هو الميسو دي جراديل قاخطف الفتاة . وظل الميسو سانتيز هادئاً كأن لم يحدث شيء . وإذا هم يصبحون ذات يوم فيجدونه مشنوقاً بمرقد الكلاب وهي حوله وقد مات ابنه مثل هذه المينة في فندق بياريس في أثناء رحلته سنة ١٨٤١ ، على أثر خيانة إحدى مغنيات الأوبرا له . وترك مده ولداً في الثانية عشرة وأرملة هي أخت أمي . وحامت السيدة ومهما الصغير المقام عندنا بأرضنا في بريتون . وكنت وقتئذ قد بلغت سبعة عشر ربيعاً

ولا يسعكم أن تتصوروا كيف كان هذا الصغير سانتيز مدهشاً باكر النضوج قبل الأوان . وإياه ليخيل إلى المرء أن جميع ملكات أسلافه من رقة عاطفة وسبحات نفس جاشة قد اجتمعت فيه وزات به . بهذا العقب الأخير . وكان على الدوام طاماً يتمشى وحيداً ساعات كاملة في ممشي رحيب بين أشجار الدردار تمتد من القصر إلى الغاية . وكنت أقرب من نافذتي هذا الصبي الرقيق الوجدان وهو يسير وقور الخطى وبداه خلف ظهره مطرقاً إلى الأرض ، وأحياناً يتوقف ويرفع طرفه كأنه يرى ويدرك ويحس أشياء ليست أن كان في سنه

فتلهموا إلى سماع الخبر ، وأبت العمدة ذلك عليهم ، فما زالوا بها حتى رضيت في آخر الأمر : « كثيراً ما سمعتموني أتحدث عن أسرة سانتيز ، وقد انقضت اليوم جميعاً ، ولقد عرفت الثلاثة الرجال الآخر من هذا البيت ، والثلاثة ماتوا ميتة واحدة وهذه شعرات الأخير ، وكان في الثالثة عشرة من عمره حين انتحر من أجل . لقد يبدو اسم الخبر غريباً ، أليس كذلك ؟

آه . لقد كانوا معشراً عجيباً من المجانين ، إن شئتم هذه التسمية ، ولكن مجانين ظرفاء ، مجانين غرام . فهم جميعاً - أباً عن جد - أصحاب عواطف عارمة جامحة ، تدفعهم من كيانهم كله دوافع قوية إلى أبعد السباحات وإلى التفاني وفرط التحمس ، بل تذهب بهم إلى حد ارتكاب الجرائم ؛ وهذا منهم بمقام فرط التدين في بعض النفوس . وشستان في الطيبة والمزاج بين أهل العبادة وبين رواد المجالس أزيار النساء . وكان يتردد في أوساطهم وبين ذوي رحمة قولهم : « عاشق عشق بنى سانتيز » ، وحسبك أن تراه فتجد هذا على سيماهم . فكلامهم شعره ذو خصل منسدة على الجبين والحيمة جمدة وعيناه واسمتان ينفذ شمعاهما في نفسك فيابللك ويشغل خاطرك دون أن تمرق لذلك سيباً وكان جد الغلام - الذي رأيتم في أصمبي تذكره الوحيد - له مفاصرات عدة ومبارزات وصبي واستباحة للحريم . وقد هام بمداه وهو في نحو الخامسة والستين بأبنة مؤاجر ضياعه . وإني لأذكرهما . وكانت شقراء شاحبة اللون ، حسنة السميت والشاردة ، تتكلم مثندة وفي صوتها لين وترطيب ، ونظرتها حلوه غاية في الحلاوة كأنها نظرة المذراء في صور الرسامين . فأخذها السيد السكهل عنده ، وسرعان ما أصبح متيهاها لا يطيق البعد عنها لحظة . وكانت ابنته وامرأة ابنه

وفظيها ؛ وكان في بعض الأحيان يدق بيديه مردداً :
« وأنا أيضاً ، وإنى لأعلم بالحب منهم جيماً » . ثم
جمل يتجيب إلى متغزلاً في استحياء وحنان عميق
كانا مثراً للضحك لشدة غرابة الأمر . وكان في كل
صباح يقطع لي جني الزهر ، وفي كل مساء قبل صعودي
إلى مقصوري ياتم يدي هامساً : « أنا أهواك » .
لقد أذنبت ، وركبني أعظم الذنوب . ومازالت
على هذا نادمة باكية لا يرقأ لي دمع . وإلى أن
التكفير عن هذا طيلة حياتي ، وقد بقيت بعده
عانساً لا أتزوج ، بل بقيت كالخطيبة المترملة ، أجل
أناله ، الأرملة . كنت ألهو بهذا الحب الصياني بل
كنت أعمل على إذكائه . فكنت المرأة الخلوب
ذات الدل ، وكأني إلى جنب رجل الأعبه وأخاتله .
لقد فتنت هذا الغلام ودأبته بحبي . وكان الأمر
عندي أمياً ومما يشته ، وعند أمي وأمه تسلية وترويحاً .
لقد كانت سنة اثنتي عشرة سنة ، فتأملوا : من كان
يأخذ مأخذ الجد هذا الغرام الذري ؟ فكنت أقبّله
ما شاء ، بل كنت أكتب رسائل العشيق له وأقرئها
أمي وأمه قبله ؛ وكان يحجب عليهما يكتب مسطورة ،
كتب من نار ، وقد احتفظت بها . وكان معتقداً
أن صائنا الغرامية سرراً مكتوماً ، وكيف لا وهو
يعتمد نفسه رجلاً والأمر في عرفه الجد كل الجد .
وقد عاب عفا أنه من بني سائيز

ودامت الحال على هذا النوال عاماً أو قرابة
عام . وفي ذات مساء ونحن في الروضة خراً جانياً
عند قدمي وأتم حاشية ثوب في اندفاع المهياج مردداً :
« أنا أهواك ، أهواك ، أناميت في هواك . وإذا خدعتني
في يوم من الأيام ، أسامة أنت — إذا هجرتني إلى
سواي فأني صانع مثلاً صنع أبي ... » وأردف في صوت
عميق بقشعر له البدن : « أنت عليم بما صنع ! »
ولما وجمت ولم أحر جواباً نهض وشب على
أطراف قدميه ليبلغ إلى أذني — وكنت أفرع منه



وكثيراً ما كان يدعوني للخروج بعد العشاء في
الليالي القمرية قائلاً : « هلي يا ابنة الخالة نحل . »
فتمضي سوياً إلى الروض . وكان يتوقف فجأة في
الفضوات بين تفاريج الشجر حيث تطفو تلك
الهبة البيضاء مثل تدف القطن يبطن بها القمر
خوات الغاب . ويقول لي وهو يشد على يدي :
« انظري إلى هذا ، انظري إلى هذا ! ولكنك
لا تفهميني ؛ إنني لأحس ذلك . لو إنك تفهميني
سكننا سمداء . لا بد من الحب لمن شاء المعرفة . »
وكنت أضحك وأقبّله ، أقبّل هذا الصبي الذي يحبني
مستهلكاً في حبي . وكان أيضاً بعد العشاء كثيراً
ما يجلس على ركبتي أي قائلاً لها : « إبه يا خالة ،
قصي علينا شيئاً من قصص الحب » فتضحكي له أي على
سبيل الدعاية لأساطير أهل بيته كافة وجميع ما وقع لآبائه
من الوقائع الغرامية ، والناس يرددون منها الألوف
بعد الألوف من صحيفة ومنزلة . إن هؤلاء القوم
قد أضاعهم شهرتهم ، فقد كانوا يستجيشون لها ثم
عاشكهم العزة أن يكذبوا سمة بينهم وما اشتهر به
وكان الصغير يهز لهذه الحكايات لطيفها



طولا -- ودعاني باسمي ، اسمي الأول ، « جنتييت »
بنفمة حلوة جميلة رقيقة شملتني منها قشعريرة سرت
من فرعى إلى أخمص قدمي

فغمغمت : « انرجع ، انرجع إلى الدار » . فلم يلبس
بكلمة وسار في إثري ، فلما هممنا بصمود درج السلم
استوقفني : « أترفين ؟ إذا هجرتني فأني قاتل نفسي »
فلمت هذه المرة أنني تماديت حيث لا يجب
التمادي وتكلفت معه التحفظ . ولما أن كتب ذات
يوم يعتب عليّ أجيبته : « أنت اليوم أكبر من عبث
المزاح وأصغر من جد الحب . وإني في الانتظار » .
وحسبني بهذا قد أبرأت ذمتي

وفي الحريف عهدوا به إلى مدرسة داخلية .
فلما عاد في الصيف التالي كنت مخطوبة . فأدرك الأمر
في الحال ، والترم مدى ثمانية أيام هيئة المفكر الغارق في
التفكير . فأهمني ذلك وساورني منه قلق شديد
وفي صبيحة اليوم التاسع استيقظت من نومي
فوقعت عيناى على رقعة صغيرة مدسوسة من تحت
الباب . فتناوأتها وفتحتها وقرأت فيها : « لقد
هجرتني ، وأنت تعلمين ما قلته لك . لقد قضيت
في بالوت . وإني لأحب ألا يمتري أحد غيرك ،
فتمالئ إلى الروض في نفس الموضع الذي قات لك
فيه أنى أهواك وتطلبي في الفضاء »

فكدت أن أجن . وأمرعت بارداء تباي
وهزأت على عجل أجرى وأجرى وأكاد أنساقط
إعياى إلى المكان المعين . وإذا قبعة الصغيرة المدرسية
ملقاة على الأرض في الوحل ، فقد كانت الليلة
مطيرة . ورفمت طرفي فأبصرت شيئا مملقا يترجح
بين الورق ، وكان يوم ريح ، ريح شديدة

ولا أدري بعد ذلك ما صنعت . لقد صرخت
أول الأمر ولا ريب ، وأماني سقطت بعدها مغشيا
عليّ ، ثم عدوت هاتعة على وجهي إلى القصر .
وتبت إلى الرشد في فرائشي وأنى إلى جانبي

تخيل إلى أنى رأيت ما رأيت كله في هذيان حلم
فطبيع . فغمغمت : « وهو ، هو ، جوتران ؟ »
فلم يحببني أحد . إنها الحقيقة

ولم أجرؤ على طاب رؤيته . وطابت إليهم حملة
طويلة من شمرة الأشقر . وهذى ... وهذى ... هي ...
ومدت العانس يدها الراجفة بحركة القائط
المقطوع الرجاء وأخرجت مندبها ومخطات مرات
ومسحت عينيها الدامعتين واستأنفت تقول :
« ونقضت الخطوبة دون إبداء السبب ... وبقيت ...
بقيت طوال العمر ... أرملة ... أرملة هذا الصبي
ابن الثلاثة عشر ربيما » . ثم مال رأسها على صدرها
وبكت طويلا بدموع الذكري

ولما انصرف المدعون إلى حجراتهم للرقاد ،
مال صياد غليظ الجسم قد أفسدت عليه الحكاية صفوه
إلى أذن جاره هامسا : ألا ترى رقعة الوجدان إلى
هذا الحد بلاء وشتر بلاء ؟ عبد الرحمن صدقي

اليسير في الطب

للكاتب الفرنسي بلزاك
بقلم الاستاذ محمود الخفيف

وكان أبحلو فقير الحال ؛ ولقد ذاق هذا النحات
الفنذ آلام الفاقة ، وخبر شقاء العيس ، وأدرك
مبالغ ما يضمه الفقر في طريق الحياة من صواب
وعوائ ؛ عاش عيشة ضنكا ، بقنع باليسير من
الطعام ، ويحجل من إعوازه وإملاقه ، ولا يستغل
مواهبه إلا في أشد حالات اليأس ؛ ولم كان يود
أن تنجح له الحياة الهادئة الساكنة التي بعدها
أحسن حياة لهؤلاء الذين تنملى رؤوسهم .

أتى ذلك الا بطالى الحى ذات يوم إلى الحاشية
في أحسن حاله ؛ ولقد عقد حياء الشباب لسانه كما
حال سوء ، طالعه دون أن يسأل الملك أجر عمله .
ولما رأى الملك من هندامه ما رأى ظنه رافهاً ناعماً
لا يعموزه شئ . ولقد اعتاد رجال الحاشية كما اعتادت
الأوانس أن يظهروا إعجابهم بسحر بانه ، كما
كانوا يمجنون بشخصه . ولكنه مع ذلك كان
لا يصل إلى يده شئ من المال .

وكان الجميع ، وعلى الأخص النساء ، بروه غنيا
بما وهبته الطبيعة من سمات الجمال . من أجل ذلك
حسبوه بشابه وشعره الطويل الفاحم وعينييه
اللامعتين من ذوى التراء ؛ ولم يخطر لهم الكسب
في بال ، بينما هم يفكرون في تلك الأشياء وفيما وراءها .
ولقد كانوا في زعمهم محقين ، إذ طالما أتاحت مثل
هاتيك الصفات للكثيرين من سفلة الحاشية أن

عندما اعترم الملك هنرى الثامن تزيين قلعة
« امبواز » ، جاب إلى تلك القلعة عدداً من مهرة
الصناع ، فن مشاهير النحاتين إلى أساطين النقش
والزخرفة إلى غير هؤلاء . هؤلاء من أعظم الفنانين
ورجال العمارة ؛ ولقد زين هؤلاء ردهات القلعة
بآيات فنونهم ، بيد أن الاهمال قد شوه ما أبدعت
أيديهم من زمان بعيد .

وكان ذلك العمل يومئذ حديث الحاشية وشفاها
إذ كان الملك كما هو معروف ، يهتم بأن يرى بنفسه
مبالغ ما تجود به قرائح هؤلاء الرجال .

وكان بين هؤلاء الفنانين شاب إيطالى يدعى
أنجلو كابارا ؛ وهو رجل مشهور المقام ، وثيق
الكفاءة ، حتى لقد كان على الرغم من حداثة سنه
يبدد أقرانه جميعاً في النحت والحفر . ولقد دهش
الناس يومئذ أن رأوا رجلاً مثله في ربيع حياته
الباكر ، يصل إلى مثل ما وصل إليه من نبوغ .
حقاً كان ذلك عجيباً ، إذ لم يكن يبدو على محيا ذلك
اليافع إلا اليسير من تلك السمات التي تشير في
الرجال إلى اكتمال رجولتهم واستوائهم .

ملك هذا الفتى الإيطالى قلوب الأوانس
وشغفهن حباً ، إذ كن يرينه جيلاً ساحراً كالحلم
كما كن يرمقنه حزناً كسفاً كالأثر الجليل ثوى
في عشه يندب موت إله

ينعموا بالضياح الواسعة والمال والجاه .

وكان أنجلو على الرغم من مظهره الذي أفاضه عليه شبابه ، لا يتجاوز العشرين من سنه حياته ، ولم يك على حدائنه غرا ؛ وكان كبير الدماء ، يمتلي رأسه بالشعر ، وفضلاً عن ذلك كان من ذوى الخيال البائع السمو . ومع أنه كان قليل الثقة بنفسه شأنه في ذلك شأن غيره من مساكين الناس وتمسائهم ، كان يدهش انجراح الأغفال الجملاء . ولقد كان يتوهم أنه قد ركب في فطرته بمض الخطأ ، فهو ناقص إما في جسمه أو في عقله . على أنه أمر تلك الأفكار في نفسه ؛ كلا ! بل لقد كان يشكو حاله في ضوء النجوم إلى الأطياف الحائمة وإلى بارى السموات ، وإلى الشيطان ، وإلى كل ما يحيط به !

كان في مثل تلك اللحظات يرمض الألم نفسه أن حباه القدر مثل ذلك القلب المتوقد الذي ما كان يشك أن النساء يتقين قطعة الحديد الحماة . ولكنه كان يقول في نفسه إن هذا القلب هو الذى يعرف الحب حقاً ، فإذا ما أحب عادة فأى حب ذلك الذى كان يفيضه قلبه ؛ وأى إعزاز ذلك الذى كان يحيطها به طول حياته ؛ وأى إخلاص ذلك الذى كان يربط شخصه بشخصها ؛ أجل ؛ لو أتيح له الحب ، فإنه يخدم حبيبة نفسه بكل ما يملك من عاطفة ، ويكون أبدأ رهن إشارتها ، يبتكر من دواحي السرور وأساليب التسلية ما يدفع به ما عساه أن يوقده الهم حولها من سحب خفيفة ، أيام يغشى السماء سواد الغمام .

كان يمثل له خياله أحياناً فتاة يجملها مهوى فؤاده ، فيروح يلقي في الخيال نفسه على قدميها ، ثم يضمها إليه ويطبع على وجنتيها من القبلات ما شاء له الهوى ويطوى بساعده خصرها ؛ وفي

عمله هذا من الحقيقة بقدر ما في خيال السجين وهو يتمطى بحسده على المشب الأخضر الذى يترامى لعينه خلال قضبان سجنه ؛ وفي لحظة عناقته يطلب إليها الصفح والمغفرة ، ثم يذهله عن نفسه حدة شعوره ، فيعمق في عناق خليلته حتى ليوشك أن يقطع عنها أنفاسها ، ويتقلب على الرغم من تحشمه ووقاره جريشاً لهجياً ، فيعض بأسنانه طرف فراشه في حدة وانفعال باحثاً عن فتاته الخيالية ؛ وهكذا يرى نفسه شجاعاً في عزائه ، بينما تراه يستولى عليه الحجل في غده إذا مر في طريقه بإحدى الفتيات ؛ على أن تلك الأحلام الجميلة : أحلام الحب كثيراً ما كانت تحفره إلى العمل فيقبل على منجته فيصور به وجوهاً جميلة ، ويبرز صدوراً ماهرة ، عليها من فاكهة الحب ما يتحاب لرآها ربق الناظرين ، هذا فضلاً عما كان يلد خياله من فنون الجمال وصوره . وكان النسوة يداين بآرائهن عن تلك الآثار وهن مأخوذات بجمال مبدعها كابارا الفتى . وكان كابارا يمدحهن من أعلى إلى أسفل ، وهو يقسم جهد أيمانه أن يمدح إحداهن إليه أصابعها مرة ليقبلاها ، ليصلن منها إلى ما تشتهى نفسه وحاجة ذات يوم إحدى أولئك النسوة المدلات بسمو درجهن ؛ جاءت بمقردها تسأل الشاب الايطالى ماذا يحبها ، وتستفهمه ألا تستطيع واحدة من نساء البلاط أن تحمل منه حديث محال ورجل « سالونات » ، ثم دعت في رقة وظرف إلى أن يزورها في بيوتها تلك الليلة .

ورش أنجلو على جسده ما وسعه من العطور واشترى قبعة من القطيفة بطرزاها شريط مزدوج من الحرير ، كما استعار من صديق له عباءة واسعة الردين ، وحلة تربتها الخيوط ، وسروالاً من الحرير ، واتخذ سبيله إلى منزل مضيفته ؛ وصعد السلم بقدمين

استخلص من تلك المقدمات بعض النتائج البهيجة السارة عقد النية على أن يطلب إليها كأمراة ساذجة ما يشتهي من حظوة ، ثم صمم أن يقتل أى شخص يعترض طريقه ؛ بقتل الزوج أو المرأة ، أو يقتل نفسه ، فذلك خير عنده من أن يسمح لأحد من أن يفوت عليه ساعة استمتاعه التى يتوخاها . حقا فقد ذهب الحب بعقله ، وصار من جنونه أنه يعتقد أن الحياة رهان صغير فى ميدان الحب ، ما دام أن يوما واحداً من أيامه يعدل ألف حياة .

أخذ الابطالى الصغير متجته وراح يسوى تماثيله ، ولكنه كان يفكر فيما كان من أمر تلك الليلة ، ولذلك فكهم شوه من أنوف كان يفكر فى سواها ؛ ولما فطن إلى ذلك نفص من العمل يده ، ورش المطور على ملابسه وانطلق إلى خيلته يستمع إلى أحاديث العذبة ، وهو يؤمل أن يحول كلامها إلى حقائق . ولكنه حينما وجد نفسه بين يدي ملكته سيطر عليه جلالها النسوى ؛ وأحس كابارا المسكين وهو ذلك الأسد فى الشارع أنه من النماج وهو يحقد فرسته

ولكنه على الرغم من ذلك حينما ألحت عليه الرغبة لم يحجج عن تطويقها بذراعه ، ثم استجمع قوته واعتصب منها قبلة . وكان ذلك الاغتصاب مدعاة سرور لنفسه . فمادة النساء أن يعدن فيتمسكن بحق المتع والذود عن أنفسهن إذا جدن بقبلة ، ولكنهن إذا أرغمن على منحها أو إذا سألنها لا يسمعن إلا التسلیم بعدها بألف من مثلهما ؛ وذلك يفسر لنا السبب فى أن الكثيرات منهن يأبىنها إلا اعتصابا ؛ ولقد استطاع ذلك الابطالى أن ينال من تلك القبلات عدداً ، وخيل إليه أن الأمور سائرة كما يحب ، لولا أن صرخت تلك السيدة التى كانت من قبل ضئيلة قائلة : « زوحى ... » . ولم يك ثمة غير الرحيل فقد عاد

خبيثتين يلعب الأمل فى مقتلته ، ولكنه لا يدري ماذا يفعل حيال قلبه ، وقد كان يثب فى صدره ويحقق فى عنف وسرعة . كذلك كان يتساقط العرق على ظهره كانت السيدة وافرة الحظ من الجمال ، وكان كابارا لا يرغب يفطن إلى ذلك ، فهو فى فته ملم بتكوين الذراعين ، خبير بما يحسد الجسد ويبرز جماله ، عليم بما يحيط بالأنثى من سر يدبغ فى جسدها السحر ، إلى غير ذلك من حفايا الجمال وخبيثاته . ولقد رأى صاحبه رضى بتسكوبها أدق قواعد الفن ؛ وفضلاً عن فتنة ملامحها ورشاقة قوامها ، كان لها صوت تضطرب له النفس من أعماقها ، صوت يضرم جذوة القلب ، والعقل وجميع الحواس . وجملة القول فقد كانت تلك الغادة تبعث بحملها فى خيال الر ، من أطياف الحب الساحرة مالا يفكر فى فيه ؛ وتلك هى خاصة أولئك النسوة اللامعيات .

وجدتها النحات حائسة على مقعدها إلى جانب الموقد ، وسرعان ما بدأت الحديث فى يسر ، ولو أن صاحبها لم يجد لديه جواباً غير لا أو نعم . خذلت حنجرتة فلم تقو على لفظ ، وخانه عقله فلم يجد بفكرة ؛ وظل يتمتع نفسه بأطالة النظر إلى تلك الحناء والاصفاء إلى صوتها ، تلك السمادة التى ما كان يحجج عن ثرائها بضرب رأسه إلى جانب الموقد ؛ وكانت صاحبه تائب أمام عيبيه كالفراسة الجيلة فى ضوء الشمس . وعند منتصف الليل غادر النحات الصغير المنزل لشع بالسمادة نفسه ؛ ذلك أنه فى أعجابه الصامت قد ألقى نفسه وعشيقته يسلكان فى هون طريق الحب الزاهر

وفكر وهو سائر فى طريقه ، فراح يقول لنفسه : إذا سمحت سيدة نبيلة له أن يجلس إلى جانبها هكذا أربع ساعات من الليل ، فما يظن هناك أنه صموية فى أن تسمح له بذلك بقية الليل ، ولما

لا يستمتع به وإن فاضت به خزائنه ؛ ورأى تلك السيدة تاهو بأن تدعه حول السياج يثب ويقفز هنا وهناك ويعتبر نفسه مالك كل شيء ، إلا أن يقرب من حديقة الحب

باع من حنق كإبارا مما صار إليه أمره أن أصبح وحشياً لا يحجم عن قتل أى إنسان ؛ ولذلك جمع بعض من يثق بهم من رفاقه ، ووكل إليهم مهاجمة الزوج وهو فى طريقه إلى منزله ، بعد أن يفرغ من لعب التمس مع الملائكة . وانطلق إلى عاقته فى تلك الساعة التى يحلوف فيها لقاء الماشقين ونطيب المغازلة والمداعبة . ولقد كان حظه من ذلك وافرأ تلك الليلة ، لم يدع وسيلة من وسائل اللغو والزاح إلا أداها فى حماسة وأمانة . أجل ، لم يحرم سوى تلك النعمة التى يتحاشى الكتاب عادة ذكرها ، لما يرونه من شناعة أمرها . واتجه الجملو إلى خايلته على حين غفلة قائلاً لها :

« يا عذتى الغائبة ، أتحبيننى أكثر مما تحبين أى نبيء ؟ »

ولما كانت الكلمات لا تكلفها شيئاً أجابت قائلة : « نعم » فقال :

— « هذا حسن ، إذن فلتكونى لى فعلاً كما أنت لى قولاً » فقالت له :

— « ولكن زوجى عائد بعد برهة » فقال :

— « أذلك هو السبب الوحيد ؟ » فقالت :

— « نعم » فقال لها :

— « قد وضعت فى الطريق بعض أصدقائى ،

وسيمترضونه ولا يطلقونه حتى أعذر المنزل وأرفع

شملة فى هذه النافذة ؛ فإذا رفع إلى الملك شكواهم

فسيدافعون عن ذنوبهم بأنهم حسبوا أنفسهم

بمازحون صديقاً من طبقهم »

— « آه يا عزيزى ! دعنى أنا كد من أن

كل إنسان هنا نائم فى مضجعه »

ساعتئذ ذلك السيد من لعبة النفس ؛ وخرج النجحات تشيمه غادته بنظرة حارة ، إذ بوغت ساعة نشوتها ؛ وظل نصيب الفتى الايطالى من عشيقته على هذا النحو لا يتغير زهاء شهر ؛ لا يكاد يصل إلى حافة ما يريد حتى يحضر الزوج . وكان حضوره أبدأ فى تلك اللحظة التى تقع بين التمتع وبين اللطافة التى تعقبه ، ويريد بها النساء أن ياطفن من وقع إياهن ، وهن بذلك إنما يجددن الحب ويزدنه قوة على قوة !

وأخيراً نفذ صبر ذلك الفتى ، فأراد ذات ليلة أن يختصر الطريق إلى غايته ، فتخطى إليها ضروب المنة زلة فى جرأة وسرعة ليتم له الظفر قبل مباغتته ، ولكن عادته وقد قرأت فى عينيه ما انتوى تنكرت له بعض التنكر والتوت عليه بعض الانواء ؛ أخذت أول الأمر تتظاهر بالغيرة لتمهد السبيل للظلم فى الحب وإعلان سخطها عليه ؛ ثم عادت فأطفأت قليلاً من غضب صاحبها بندى قبله ؛ واستأنرت بعد ذلك بالكلام ، وراحت تؤنب عشيقته وتعلن إليه أنها تحب ممن تهواه أن يكون خيراً وأن يظل مطيعاً لمشيئتها ، وإلا فإن تضع بين يديه حياتها وروحها . كما راحت تفهمه أن رغبته فى نيل وطره تدل على أنه ينظر إلى الحب نظرة وضعية شأ أسرهما قرباناً . ولذلك ترى نفسها أكثر شجاعة منه ، لأنها وقد أحبت أكثر مما يحبها قد نحت أكثر مما يضجى . وكانت تحبب على اعتراضاته بقولها : « الزم الصمت أيها السيد ؛ تأقهم فى لهجة الماسكة ومظهرها . وفى بعض الأحيان كانت تقابل تقرب كإبارا ولومه بنظرة غاضبة ، إلى أن صار حته قائلة : « إن لم ترأض نفسك على أن تكون كما أحب ، فإن أهبك حبنى بعد اليوم » ورأى الايطالى أن حبها لم يكن حباً نبيلاً ؛ وإنما كان حباً لا يستمتع به الماشق ، كمال البخيل

البلاط ، يا صاحبة القلب الشقي ... إنك إذن تحبين وجهك أكثر مما تحبين عشيقك »

عندئذ سأعت في وجهها الصفرة ، ورفعت ذلك الوجه . وغطت في تلك اللحظة إلى أن مكرها قد أفسد عليها حبها . أما أنجلو فقد حمل خدها بسيفه وفر هارباً من المدينة كلها . ودخل الزوج فألقى إمرأته وقد نال خدها الأيسر ما ناله ، ولكنها لم تنبس بكلمة على الرغم مما كانت تعاني من ألم . لقد أحببت كابرأ أكثر مما تحب الحياة نفسها ؛ ولكن الزوج أصر على أن يعرف من فعل هذا بإمرأته . وأجبه نظره بنى كابرأ ، وقد حامت الشهوة حوله ، فرفع أمره إلى الملك ، وأمر الملك فجئ بذلك الإطالي وسبق إلى الأعداء في « بلوا »

وفي غداة اليوم الذي عُيِّن لتنفيذ الحكم تقدمت سيدة نبيلة ، وقد حفزتها رغبة شديدة إلى محاولة انقاذ ذلك الشجاع الذي رأت فيه عاشقاً كامضاً وأكل ما يكون العاشق . توسلت تلك السيدة إلى الملك أن يهب لها ، فقبل توسلها في غير عناء . ولكن كابرأ أعلن أنه لن يعرف امرأة ، ولن يدين لامرأة غير تلك السيدة التي تبعته . ولذلك رأى أن يلتحق بالكنيسة ، ومن ثم أصبح كاردينالاً وعالماً من كبار العلماء . واعتاد أن يقول في شيخوخته إنه عاش ماعز من سني حياته على ذكرى تلك اللذات التي ذاقها في ساعات نزواته ، إذ كان باقياً على يدي عذته أحسن طروب المعاملة وأسوأها معاً . على أن هناك من يقولون إنه لم يلتحق بالكنيسة وأنه نجح بعد ذلك في مهنة حياة هادئة مرضية مع تلك التي ملاكت قلبه . ولكني لا أصدق هذا القول ، لأن كابرأ كان رجل عاطفة يعرف حق المعرفة قوانين الحب المقدسة

الظفيف

ثم نهضت فأمرعت إلى النافذة ورفعت يدها الشملة : ولكن كابرأ لم يكذبها تفعل ذلك حتى وثب فأطافها ، واستل سيفه ، وواجه تلك المرأة التي تبين في عيها روح الازدراء وخبث النية وقال :

— أنت أريد قتلك أبها السيدة ، ولكني أريد أن أشوه جمال هذا الوجه ، بحيث لا تستطيعين بعد ذلك أن تدعي نافذة هؤلاء الفتيان الذين تضيعين حياتهم . لقد عمدت على خديعتي بأساليب مخجلة ، وتبين لي أنك امرأة لا تعرف معنى الاحترام . يجب أن تتعلمي أن القبلة لا تنقع علة عاشق ، وأن الفم الذي ذاق طعم القبلة لا ينفك يطالب ما بعد . لقد كنت سيبك في شقائي ، وستظل حياتي أبداً بعد اليوم تسمه مظلمة ، والآن أريد أن أجعلك تتذكرين إلى الأبد موتى ، ذلك الموت الذي هيأت أنت أسمايه . سوف لا تقفين بعد ذلك أمام المرأة إلا ترين وجهي إلى جانب وجهك »

رفع بالسيف يده ليقطع به صفحة خدها النضر ، ذلك الحد الذي مازال يحمل آثار قبلاته ، فصاحت به المرأة قائلة : « تبا لك من شقي » فقال لها : — « كفني عن الكلام ... لقد أخبرتني أنك تحبيني أكثر مما تحبين أي شيء ، والآن تحبيني بمحدث آخر . ظلمت ترفعياني كل ليلة درجة نحو السماء ، حتى رأيتك تلقينني بضربة واحدة في الجحيم ، وظنيت أن ثيابك تحول بينك وبين نعمة عاشق غاضب ... كلا ! »

وأجابت الغادة وقد استولى عليها الدهش لراى ذلك العاشق الذي بالهب غضباً قائلة :

« آه ! أنجلو ! حبيب قلبي ! إني لك . »

ولكنه تراجع إلى الوراء ثلاث خطوات ، وأجابها بقوله : « أبها المرأة ... أنت يا امرأة

من الأدب ليطاى

عند

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

وقالت وهي تبسم في رقة وقد
طرحت وراءها كل نهكها :
« أتعرف سالفيتي ... »
سالفيتي القانونى الشاب ؟
إن أمه كانت هنا اليوم ؛
أفهمت ما أعنى ... ؟ »
فقاطعها الزوج في وجهه .
وقال : « لا ، أنا لا أعرفه »

كان جالساً في حجرة المطالعة الى قصد بحوار
النافذة شارد اللب ، مشتت الخاطر ، يحدق في
الفضاء المترامى أمامه لا يثبت شيئاً ولا يحققه ،
وقد اضطربت في رأسه خواطر ... خواطر سوداء
يريد أن يطردها بما ينفثه من دخان سجائره . كان
كذلك حين نادته : وجهته من خلف الباب « بيتر
بيتر » ؛ « أستطيع الدخول » . ثم ... ثم دفعت الباب
في رفق وهي تقول : « أرجو أن تمرى بسمك
قليلاً ، سأقص عليك خبراً هاماً » وتقدمت في
هدوء وهي تلوح بمنديلها تطرد به سحب الدخان
للمسكنة هنا وهناك : « قد أفرطت في التدخين يا بيتر » ،
وهو يهز من كيالك . لماذا تجلس صامتاً في الظلام ؟
وكان ثوبها الحريري الجليل يحف حفيفاً خفيفاً ،
وقرطها الماسى يشع نوراً ؛ وكانت هي تبدو أنيقة
جذابة لأن هذا اليوم هو يوم الاستقبال ...

وزفر الزوج زفرة عميقة ثم نظر الى زوجته
وهو يبسم في تهكم ويقول : « لماذا ربت شعرك مثل
ما أرى وقد جاوزت سن الفتاة ؟ » فاضطربت شفاتها
وقالت : « إن شعري لا يلبث أن يشعث ، وإمكن
لأبد المرء أن يبدو أنيقاً حين ينتظر قدوم الزائر » ،
وفي لهجة السخرية قال : « حقاً . إن هذا اليوم عظيم .
إن النواقيس لا تنفك ترن رنينها العذب ... »
واقتربت الزوجة رويداً رويداً من زوجها

« إنك تذكره تماماً : القانونى الشاب : إنه
يبدو أنيقاً رقيقاً : »
« أنا لا أذكره »

وفي الحق فقد كان بيتر يعرف الشاب ،
ولكن أى قوة على الأرض تستطيع أن تتزعزع من
بين شفتى هذا العنيد اعترافاً ؟

فقات الزوجة في رقة : « لا بأس فأنا موقنة
بأنك ستذكره حين تراه . لقد أسهبت أمه في وصف
ابنتنا إيلينا بصفات الجلال والكمال والرقّة والأنوثة
و... ثم راحت تطلبها زوجها لابنها الشاب في رجاء
واستعطاف فوافقت ؛ وسيزورك زوجها بعد ... »
« وافقت ؟ أحقاً ما تقولين ؟ »

وصاحت المرأة : « بيتر : أى زواج خير من
هذا الزواج ؟ وإيلينا تهوى الفتى ... »

وانتفض الرجل كن مسه طائف من الشيطان
يرعد ويزأر هائجاً مضطرباً « وكيف ؟ وكيف ؟
استطاعت الفتاة أن تغرم بهذا الشاب ؟ أين تلاقيا ؟
أريد أن أعرف ... وأنت ... أنت التي لا تعرفين
معنى الأنوثة ، كيف تركت لهذا العنان لتندفع في
طريقها طائشة ؟ هيه : نعم : لقد سمحت لابنتك
أن تحب رجلاً لا أعرفه : أعلمها تراسلاً أيضاً : ولعلك
كنت واسطة بينهما : لقد تمت القصة وعلى عيني
ستار كفيف أسود :

في أمر. وساد صمت رهيب حين علم الجميع أن أعصاب الأب تضطرب ، فأمسك فرنسكو عن العزف على البيان ، وتركت لوشيانا ألبها ، وصمت بيبينو الصغير عن استذكار دروسه ، حتى الخادم المسكين ، خفت من وطنها وهي تمد المائدة لتلازج سيدها ... وعلى المائدة جلس الجميع في سكون ، وبدت إيلينا قلقة جزئة ، وقد سيطر عليها اليأس ، واضطربت الشوكة في يدها فسقطت ، وفي سذاجة الطفل ألنقطها بيبينو وهو يبسم ، ثم انفجر ضاحكا ؛ وضحكت لوشيانا ، ثم فرنسكو ، حتى الأم الحزينة افتر ثغرها عن ابتسامة خفيفة . وعاظ الزوج ما رأى ، فأراد أن يحمد هذه الزوجة في خشونة وعاطفة ، فنظر إلى زوجته ومن عينيه يتطارشوا بتقد وقال : « أعدى ملاسبي ، سأسافر غداً إلى قريبنا ... قريبنا فالكونيتسو » ، وذعرت الزوجة وتردد نظرها حائراً بين الزوج الحق وبين الفتاة وهي تناقى الصفة القوية . وأدرك الجميع ما أراد الأب ، فاطرقوا في حزن إلا بيبينو الصغير ، فقد لبت عيناه بالفرح ... فرح التلميذ الصغير ينتظر الأجازة ... فأشار إليه الأب : « أمسرور أنت لأنني ذاهب ... ؟ » فارتعد الطفل وقال : « لا ، لا يا أبي ، حقاً لا ! »

وانطلق الأب والزوجة يقول له في صوت ضعيف : « أعود قريباً ؟ لا يد أن تفكر في هذا الأمر » فقال : « أي أمر ؟ » قالت : « زواج إيلينا ! إن ذهابك معناه الرقص والتجدي معاً ، إن سعادة ابنتك فوق كل عمل في فالكونيتسو » ولكنه كان في نوره يبدو عنيداً فقال : « لا جرم أن المرأة حين تفكر في الحب تراه فوق كل عمل وإن كان عظماً ! » لم يكن العمل هو الذي دفع الزوج إلى القرية ولم تكن الرغبة ، وإنما كانت النفس الشريرة التي

واضطربت المرأة ، وخارت قوتها ، وطارعها تباتها ؛ فغطت وجهها بيديها تخفي بعض خجلها ، وتستر ضمفها النسوي المنسكب من عينها ، ثم راحت تتزعج السكبات من بين شففتها انتزاعاً : « لا لا يا بيترو ، لقد ضللت أني أحمل إليك بشري ، ماذا أنت كذلك ؟ لماذا ؟ ماذا افترقنا ، وأي غرامة في ذلك ؟ شابان رافى كل منهما في نظر صاحبه فتعاق أحدهما الآخر وأحبته ، وبادله الآخر حباً بحب وغراماً بغرام ؛ أليس هذا ما كان بيننا يا بيترو ؟ أنت ظالم ... »

وكان الرجل ظالماً ، وبدا في جاسته مهموماً مضطرباً ، وقد بدلى رأسه كأن فيه ثقل جبيل ، وكانت أفكاره تضطرم اضطراماً ، وأحسن كأنما يماي ألباً تمضاً ، وحين كبج جناح غضبه ارتد هذا في جسمه فتوراً واستغذاء ، واستيقظ ضميره يخزه وخزات شديدة تؤلمه ، كما ألمته أعصابه المضطربة من قبل . نعم لقد أحب ساياليا وهام بها ، فسمى إليها وقد اختارها لنفسه ، ثم ... ثم فاز بها بعد طويل عناء . إنها قصة غرام قديم ... قديم منذ نصف وعشرين سنة ؛ ولكن الحقيقة لا شهرم ، وعلى غير أن المقد الثالث من عمر ساياليا قد انفرط منذ زمان إلا أنها لا تزال جذابة جميلة . أما هو ... وهو يحبو للخمسين يبدو للعين كمن حاوز السبعين ؛ أما قلبه فما ربح شاباً يؤمن بالحب ، ويحبوه بما في رأسه ويده معاً ، لذلك ... لذلك كان الرجل ظالماً

وحين تراءى له في خياله كل ذلك تقارظته الهموم فصاح : « ساياليا ، أعصابي ... دعى هذا الأمر الآن ... » وكفكت المرأة عبرات الخيبة في صمت ، ثم انطلقت إلى ابنتها حزينة كثيفة تحدثها الحديث كله ، وتقف في طريقها إلى أبيها الناثر خشية أن يقع

شيء ، وراح أعضابه تضطرب فما يقوى على ضبطها . ماذا جنت زوجته وهي رقيقة عذبة الحديث عطوفة رحيمة طيبة ؟ وماذا جنى هؤلاء الأطفال الأبرياء ليرى هو المفعوة القمينة منهم كبيرة لا يكفر عنها إلا المقاب الشديد ؟ ثم ماذا في هذه الأعصاب الغائبة المضطربة ؟ لقد كانت رسول الشؤم والظلام في هذه الدار وأهلها آمنون .

هذه هي النهاية ... !

وطامت أيام الشباب في خياله تذكره قصة الماضي ... فرأى أسرته جميعاً تنهد فرحاً من ذكر أعصاب الأب المضطربة ، تلك الأعصاب الطاملة التي وقفت سداً منيعاً في سبيل زواج كبرى بناته ، والتي أرغمت الصغرى على أن تتخذ حماراً وقد سيطر عليه الشك ؛ ثم هي أخرجت أكبر أبنائه من الدار لا يملك صليداً يسد به الرمي ، ويبترو ... يبترو نفسه قاسي وبلاط ما منسته به هذه الأعصاب الطاملة . لقد كانوا يكرهون الأب ويعتقلونه ، لما يرون فيه من الظلم والأمانية ، وكان يبترو نفسه يقول : « آه ، لو أن لي ولداً فقسوت عليه بمثل هذا لحنقت نفسي بيدي هاتين ... » أما الآن ... أما الآن فقد تراءى له ما يضطرب في خواطر أبنائه هو جميعاً ، وأحس بما يضمررون له من المقت والكراهية ...

ليتة يستطيع أن يطرح عن نفسه ذلك كله ليرجع إليهم وادعاً حادثاً رقيقاً ... وشغلته الفكرة وتصرفت أيام .

ووافته الزوجة وهي تقول : « ما كنت لأجرو على الحبي ، واسكن ... أنت مريض ... أنت مريض حقاً » ثم راحت تبكي في صمت وكان هذا الصراع النفسي قد أنهك الرجل

فيه هي التي أرادته على أن يسيء إلى أهله ... وصاحت الزوجة : « يبترو ، لا تذهب ... » غير أن الرجل يدفع لا يلوى على شيء حتى إذا كان لدى الباب التفت إلى ورائه فرأى ... رأى أبنائه في إطراق حزين ، وصمت مؤلم ، وما هم أحد ليودعه ، فقال له ضميره : « أرايت ... أرايت أسرتك المحبوبة كيف تتركهم عبيداً أذلاء ؟ » وعند ابتلاق الفجر كان الزوج في طريقه إلى القرية

جلس يبترو وحيداً إزاء المدفأة في بيت قديم له بالقرية ، وخیاله عند الجماعة الذين خلفهم هناك في المدينة ؛ وبدت نفسه رقيقاً له يحدثه : « كأتى أسمع الزوجة تقول لابنتها : أمفتبطة أنت يا إبائنا ؟ فتتطوى الابنة على أم ، ونفسها تضطرم أنسى ولوعة . وكأتى بالأولاد من حولها يرحون ويقولون : ما أجل المكان حين يرتفع عنه هو ... هذا الكابوس هذا الكابوس هو أنت ... أنت الذي لا يحبك أحد ، ولا يسر لمرآك طفل ... أنت الشبح الخيف ... أنهم يكرهونك ويعتقلونك ... عجيب هذا ؟ كيف مرت الأيام وأنت تورث الفكرة في أذهانهم عن جهل منك وغفلة ؟

لقد كان وحيداً ، واسكنه كان هادئاً يستطيع أن يشعر نفسه الأخطاء التي ارتكبها ؛ ويستطيع أن يرى بمعنى عقله ثمار القسوة والمظلمة وهي مرة كريهة . واستيقظ ضميره مرة أخرى يؤنبه بكلمات لاذعة قاسية ، وحكم هو على نفسه حين نشر على عينيه تاريخ أعوام مضت . لقد كان إلى عهد قريب هادئ الطبع ، حلو السمائل ، رفيق الماطفة ، طيب القلب ؛ وحين أحس مصباح الحياة ينطفئ أمام عينيه لس هو الظلام في كل

قال الرجل : « ان كل من في الحياة يحمل قسطه من الثأب والأحزان ، وفي كل دار عدوها ؛ فالفاقة والذيلة والسقوط كل أولئك أعداء ؛ أما دارنا ففيها عدو من نوع آخر هو ... هو أنا ... هذا ما أعرفه وأوقن به ، وليس لي من العزم ما أستطيع أن أخرج عن طبيعتي هذا ... عن قسوتي وغلاطتي ، ولا أريد أن أبذر في أنساني غمراس المدارة والبغضاء لي ، لهذا ... لهذا فأنا لا أستطيع أن أرجع إلى داري ... ان أرجع ... ان أرجع حتى أرا »

وبدا تعني المرأة مراد زوجها ، ووضح لها ما يريد ؛ فقالت في عطف وشفقة : « سأبحث إليك بفرنسكو أو سالفيتي فهو فسيح اللسان قوى الحجة ... »

وراحت تودعه في حرارة وشوق وقد أشرق في نفسها نار يخ السعادة الأولى حين شئنا حبيبين ، وهي تقول : وسأرسل فرنسكو يا بيترو ، فهو رحيم ، وهو يحبك ؛ يحبك على رغم كل شيء ، لأنك أبوه ؛ ثم سمعت إلى القطار

ورجع الزوج يتأفل كأنما يحمل على ظهره حملاً ثقيلاً ، وتراءى له ابنه الأكبر في الخيال يستمطفه ويرجوه ويبحثو عند قدميه يسكن ويبكي ... فيسكن هو ، فيلين ، فيليبي ... ثم رجع ورجع معه العدو الذي فيه ، فتضطرب الدار ويفزع الأبناء ... أين الخلاص ؟ وبدا له الخلاص وهو يسير على حافة هوة عميقة ، في خطوة ... خطوة واحدة يتقدم بها في نيات وعزم ، فأحضر عينيه وسار ...

وخرج فرنسكو ليمود بأبيه فما عاد إلا بقصاصة ورق تحمل إليه النبا المفزع ... موت أبيه لامل محمور مهيب

فهو ذابل ذاب شاحب اللون ، مضطرب لا يكاد يستقر ، غير أنه قال في لطف : « علام تبكين ؛ هل الأميرة بخير ؟ » قالت : « وأنت أنت ... يجب أن تعود إلينا » قال : « نعم يجب أن أعود ... أعود إكراماً لأبائنا ، يجب ... ولكنني أجد الراحة واللذة هنا ، وعندى هنا ما يشغلني ... يجب ... لأن إبائنا ... سأكتب لهم »

وكتب :

ابنتي العزيزة : أنا أوافق على زواجك من السقيور سالفيتي ، لك غنايات الطيبة وحبي الطاهر « أبوك » ونال الزوجة الورقة وهو يقول : « أفى هذا ما يكفي ؟ »

قالت « كفى » ولكن بيترو ، ماذا وراء الباقي ؟ الجهاز - الناس - الزفاف ... لا يمكن أن ترفض ! »

وتفاوض الرجل عن حديثها حيناً ثم نظر إليها وهو يقول : « إن القطار يتحرك في الساعة الثامنة تماماً »

« وأنت ... ؟ »

« سأرافقك إلى المحطة »

وانطلقا جنباً إلى جنب وذراعاً في ذراع ، والزوجة تقول : « تعال معي يا بيترو ، تعال إلى دارنا تعال ! لا تبذر فينا غمراس الشقاء بفراقك ... » فقال الرجل في هدوء : « سأظل هنا ما بقي من العمر لأنكم تشقون لي ، سأعيش هنا ... » « وحيداً ! »

— « نعم ، هنا ، انسى أريدكم هاتين سمداً »

— « وكيف ... كيف نكون سمداً وأنت هنا ونحن هناك ؛ يتألم وأرملة ؟ »

ثم راحت تندب حظها الأسود المائر



محوليات

أو

هيلويزا الجديدة

لجان جاك روسو

بقلم أحمد حسن الزيات

الرسالة الثانية

الى موليا

ما كان أشد حنى وترقى فى رسالتى الأولى
يا آنسى : لقد كنت أرجو أن أنفس بها عن
صدرى المكظوم وقلبي المغموم ، فإذا نى أعرض
نفسى من جرائها لخطئك : وأنشئ الأمور كلها
على أن أفعل ما ينضيك أو مالا بمجيبك ، إن
سكوتك وفطورك وانقباضك هى الدلائل المنذرة
بالمصيبة ؛ وإذا كنت قد أحيت بعض رجائى ،
فذلك لأنه أبلغ فى عقابى وجزائى . فأنك « حين
جملك الحب واعية بقطة ، سترت شعرك الأشقر
وحبست فيك نظراتك المذبة » (١)

لقد كفت أمام الناس عن تبسطك البرى ،
الذى حملنى الجنون على الشكوى منه ، ولـكنك
ازددت قسوة على فيما بينى وبينك ، فتعادات شدتك
اللبقة فى إقبالك وصدودك

(١) من شعر متياس

أينك تعلمين بما يشعرنى هذا الفتور من لوعة
القلب : إذن اعرفت أننى جوزيت شر الجزء
وعوقبت أشد العقوبة . آه ! لو أن لى رجعة إلى
الضى فأحول بينك وبين تلك الرسالة المشنومة :
فأننى لو لم أكتب الأولى لما كتبت الثانية ؛ ولو لم
أضطر إلى كتابة هذه الرسالة لـكنت بنجوة من
مظنة الاساءة إليك مرة أخرى . إني أريد أن
أصالح خطائى لأن أضعفه . أيتبنى أن أقول إن
نفسى أركبتى الفرور وموتت على الباطل حتى
أمرى من غضبك ؟ أيتبنى أن أحتج بنفسى بأن
ما أحمل لك فى قلبى هوشى ، غير الحب ؟ أما ؟ أجتريء
هذه الجرأة ، وأفترى هذه الفرية ؟ وهل الكذب
الفاجر خالق بالقلب الذى تملكينه وتممرينه ؟
أتمكن عاقبة جرائى أن أكون بائساً إذا لم يكن
من ذلك يد ، ذلك أولى من أن أكون بسببها
كاذباً أو جباناً ، فإن الجناية التى اجتريتها قلبى ،
لا يتبغى أن يحجدها قلبى
أنا أشعر ساهماً بفداحة غضبك ، والكنى

بؤساً أن أسألك إياه بنفسى . فإذا لم تكونى قاسية
القلب حياقةً فقيرى هذه الهيئة الفاترة المتبرمة التى
تدفعنى الى القنوط . ان الذى يرسل مجرماً الى الموت
لا يزوده بالغضب

الرسالة الثالثة

الى جوبيا

لا يصق صدرك ولا يهن صبرك يا آنسى ، فهذه
الرسالة آخر ما برعجت منى

ما كان أبعدنى ، حين تولد حبك فى قلبى ، أن
أتقصى بالخطر كل الآلام التى تهيات لنفسى ! لم
أحس أول الأمر الا بألم الحب اليائس الذى
يستطيع العقل أن يقهره مع طول الزمن ؛ ثم ذقت
ألماً آخر أعظم من ذلك جرء على أنى أغضبتك ؛
وهأنذا الآن أشتشر ألماً أشد على نفسى من كل
ألم لأنى أثرت عليك همومك الخاصة

آه يا جوبيا ! انى أرى والامسى يفت كبدى أن
شكواى تكدر صفوك . انك تلزمين الصمت القاهر
البالغ ، ولكن كل شىء يمان إلى قلبى يلقط
اضطرابك الدخيل

أصبحت عينك ساهمتين حالتين ناكستين بفر
منهما بعض النظرات الحائرة إلى ، وانكفاً لونك
البعى النضر فبدا على خديك شحوب غريب ،
وفارقتك البهجة المرحمة وتضييتك المعلوم القاتلة ،
فلم يبق مما يحفظ على طبعك الطلاقة إلا عذوبة فى
نفسك لا تنضب

إنك كما أرى مهمومة الحساسة أو زراية أورثاء
لآلامى . وإنى لأخاف أن أكون ساعدت القدر فى
آلامك ؛ وهذا الخوف يؤلىنى ألماً لا يعد له ذلك
السرور الذى يبعثه فى نفسى ما يصاحب ذلك

أنتظر أن يكون مآله الى الرضى والمساهة اذا لم
يكن شىء آخر ؛ فان النار التى ترمض جوائى
وتذوبنى خليقة بأن تماقرب لا أن تحتقر

حنانك يا آنسى ورحمك ! لا تسكينى الى
نفسى . تفضلى فصرف قدرى ووجهى أمسى على
الأقل . أعلى مشيتك واقضى قضاءك فلن تجدينى
مهما قسا الحكم واشتط غيظ طائع ولا سابر . أتفرضين
الصمت الأبدى على : ساحل نفسى على مكروهه
وأروضها على لزومه . أتقصينى عن حضرتك ؟
سأقسم بالله جهد اليمين لا أريك وجهى بعد اليوم .
أنأمرينى أن أموت ؟ لعل ذلك أيسر الأمور على .
ليس هناك ما يعينى الخضوع له والرضا به إلا شىء
واحد : هو ألا أحبك . على أنى لو استطعت أن
أنفذ مثل هذا الحكم لما أبيت

أراود نفسى فى النهار مائة مرة على أن أخرج
على قدميك فأغسلهما بغيرائى ، وأطلب منهما ممانى
أو حياتى ، فيهرزم الخوف قلبى ، فترتجف يداى
وتصطك ركبتيانى ولا أجرو على أن أجثو ؛ ثم
يموت على شفتى الكلام ، ولا أجد فى نفسى
ما يؤمنها من خوفها أن تفضبك

هل تعلمين فيما خاف الله حالاً أهول من حالى
وأفطع ! إن قلبى يشعر كل الشعور أنه آثم ؛ ولكنه
لا يدرى كيف يطلع عن غيبه ويرعوى عن الله .

ان الجرعة والندم قد اصطاحا على أن يهزاه
هزات لا نشوز فيها ولا شدوز . وإنى من غير علم
بصيرى لأضطرب فى حيرة قاتلة بين طمع الرحمة
وخوف العقوبة

ولكن لا : اننى لا أطمع فى شىء ، وليس من
حق أن أطمع فى شىء . ان اليد التى أرجوها منك
هى أن تمجلى بمذابى . أرضينى بانتقام عادل ؛ وحسبى

وسيقسم منذ اليوم شعائره بين حبك وبين
الفضيلة ؛ ومحال أن يدنس الهيكل الذي تُعبد فيه
جوليا بنار أخرى

البطاقة الأولى من جوليا

لا أرجح الرأي الذي يجعل اعتمادك ضرورة ؛
إن القلب الورع يستطيع أن يبيع هواه أو يسكت ؛
ولعله ينقلب خشياً مهيباً . ولكن أنت . . .
أنت تستطيع أن تبقى

الجواب

لقد سكت طويلاً حتى حماني فتورك على الكلام .
إذا استطاع المرء كبح هواه ابتغاء الفضيلة ، فإن
يستطيع مطلقاً أن يتحمل احتقار من يحب .
لا بد من السفر

البطاقة الثانية من جوليا

لا يا سيدي . إن رجلاً كالذي تظاهرت بأن
تكونه فأحس ما أحسست ، وجروء على أن يقول لي
ما قلت ، لا يسافر بعد ذلك . إنه سيعمل أكثر
مما عمل

الجواب

أنا لم أنطهر إلا بهوى معتدل في قلب يائس .
غداً ستكونين راضية ، ومهما أملت في ذلك فلا أقل
من أن أسافر

البطاقة الثالثة من جوليا

يا لأبله ! إذا كانت حياتي عزيزة عليك ! فأخش
أن تمتد على حياتك . أنا الآن مأسورة محصورة
فلا أستطيع أن أكلك ولا أن أكتب اليك
حتى التذ ؛ فانتظر

الزيات

(يتبع)

الخوف من أمل ، لأنني إما أن أكون قد أخطأت ،
وإما أن تكون سعادتك أغر على من سعادتي

على أنني حين ثبت إلى نفسي ، تبين لي أنني
جرت في الحكم على قاي ، وعلمت بعد أن قضى
الأمر أن الذي حسبته هذياناً يزول ، إنما هو كلمة
القدر في مصيري وحياتي

إن اشتداد حزنك هو الذي أشعرني بإشتداد
حبي . لا ، أبداً ؛ إن وميض عينيك وإشراق لونك
وبراعة ذهنك وكل ما كان لهجتك الماضية من
جمال وسحر ، كل أولئك لا يستطيع أن يحدث مثل
ذلك الأثر الذي يحدثه في نفسي ضعفك . لا يخامرُك
الشك في ذلك يا جوليا ! فإني لو استطعت أن ترى
الضرم الذي أورتبه في نفسي أيام الضنى الثمانية
لسالت شؤونك أسي مما جررت به على من الأذى
والألم . لقد أصبح ذلك الألم عياء لا يرجى برؤه ؛
وإنني لأشعر أن هذه النار التي تصاليني وتذويني إن
يخبو أوارها إلا في القبر . لا بأس . إن من عجز عن
أن يحمل نفسه سعيدة ، لا يعجز عن أن يحملها
على الأقل خليقة بالسعادة . وسأعلم كيف أحملك على
أن تحترى رجالاً تفضلني عليه بجواب . أما حديث
السن ، وفي مقدوري أن أمال يوماً ما ذلك الخطر
الذي لست كفؤاً له اليوم . وفي خلال ذلك يجب
أن أرد عليك السكنى التي فقدتها أنا إلى الأبد .
إن من العدل أن أكيد وحدي عقوبة الجريمة التي
افترقتها أنا وحدي

وداعاً يا جوليا . عودي إلى هدوئك وغبطتك ،
وابسطي ما تفضن من جهتك ، فإن ترى وجهي
بعد اليوم . ولكن ثقي إن الحب القوي النقي الذي
يضرّم أنفاسي لا تخمد وقدته ما حييت ؛ وأن القلب
الذي يغمره مثل هذا الحب لن يذل ولن يهون ؛

المستربكوك وفراقه

للقصص الانجليزية شارلز ديكنز



شارلز ديكنز

متمم :

كانت هذه القصة الفكهة الممتعة أقوى وأسرع خطى شارلز ديكنز إلى الشهرة والمجد ، وبعدها كثير من النقاد أحسن قصصه وأشدّها اتصالاً بقلبه وعبريته ، ذلك لأن روحه الفكهة ومقدرته الفائقة على الوصف ، ونشاط ذهنه ، تركزها بأجلى وضوح فيها ، وليست هذه قصة بالامر الحلقى ، وإنما هي تصوير بعض الشخصيات عن طريق الحكاية والحوار وما يتصل بتلك الشخصيات من معاني الحياة ومشاهداتها . خلق القصص العبقري أولاً شخصية مستربكوك وجعله رئيساً لشعبة تنتمي إلى ناد ، عملها التجوال لجمع ما عساه أن يصادفهم من معلومات ، ومن ثم بدأت سلسلة أسفارهم وحداثاتهم . وهذه القصة من القصص العالمية التي لا تقل روعة عن قصة (دون كيشوت)

(المترجم)

تسرفاتس

الفصل الأول

رعد اليوم الأول ومخاطرة اللبذ الاولى

وما كان من أمرهما

لم تسكد تشرق الشمس وترسل أشعتها صبيح اليوم الثالث عشر من شهر مايو عام سبع وعشرين وثمانمائة وألف ، حتى نهض مستربكوك (بكوك) من أحلامه كأنه شمس أخرى ، وفتح نافذة غرفته وأطل منها على الوجود من تحته ، وكان يقع شارع (جنبول) تحت عينه ، وكان يمتد شارع (جنبول) عن يمينه إلى نهاية ما يصل إليه البصر ، وكان يمتد أيضاً عن يساره إلى مسافة بعيدة

وحدث المستربكوك (بكوك) نفسه قائلاً : « هكذا شأن تلك النظرات الصيقة ، نظرات هؤلاء الفلاسفة الذين يقتنعون مما يعرض لهم من الأشياء على مظاهرها ، ولا يبحثون عما يوجد وراء تلك المظاهر من حقائق الحياة . فهأنذا لا أقنع أبداً بالانظر إلى ذلك الشارع دون أن أبذل أى جهد في تقصى ما يحيط بجوانبه من بلدان »

وفرغ مستربكوك من تأملاته الجميلة ليضع نفسه في ملابسه ، وليضع ما خفيه من ملابسه في حقيبته . وإنك فلما تجد عظماء الرجال يظهرون كبير اهتمام أثناء ارتدائهم ملابهم ونأههم

ووجهه شديد التجهم ، وظالت ملامحه وهو يكتب على ما هي عليه من صرامة ، ولذلك أثبت في دفتره تلك الحقيقة غير منقوصة

وأردف مستر بكويك متسائلاً كي يصل إلى غيرها من الحقائق والمعلومات « وما مقدار الوقت الذي يقتضيه في العمل في كل مرة تأتون به إليه؟ » فأجاب الرجل : « من أسبوعين الى ثلاثة »

وصاح مستر بكويك في دهش : « أسابيع ! » وسرعان ما برز دفتره ثانية من صدره

واستطرد الرجل في فتور : « أنا أرسله الى منزل في حي بنتنول » في غير فترة العمل ، ولكننا قلنا نرسله الى مكان راحته بسبب ضعفه

وصاح مستر بكويك وقد ذهبت الحيرة بمقله كل مذهب : « بسبب ضعفه ! »

واستمر الحوذى يقول : « انه دائماً يسقط على الأرض كلما حل من العربية ، ولكننا اذا شددناه الى العربية نحكم ربطه ونقعز الجبال والسيور فلا يستطيع بذلك أن يسقط ، واقد اتخذنا العجلات من حجم كبير ، ولذلك فهي تدفقه اذا ما تحرك ولا ندع له مجالاً للتواني ، واذاً فلا بد له أن يتابع سيره ، اذلا حيلة له في ذلك »

وأثبت مستر بكويك عبارة الرجل بمخاديرها في دفتره ، ليقدمها الى الناذى شاهداً فذاً على القسوة في دنيا الخيل . وما كاد ينتهي من كتابة ملاحظاته حتى وصلت العربية الى « جولد كرش » ، فوثب الحوذى الى الأرض ونزل مستر بكويك ، والتفت حول العربية كل من مستر توبعان ومستر سندر جراس ومستر ونكل وأخذوا بحيون رئيسهم الألمي وكانوا ينتظرون مقدمه في شوق

وخطب مستر بكويك الحوذى قائلاً : « هذا أجرك » ومد اليه يده بذلك « الشان » الذي أعده

للخروج ؛ ومن أجل ذلك فرعان ما فرغ مستر بكويك من حلق ذقنه وارتداء ملابسه واحتساء قهوته ، وخرج بمد منهية وحقيته في يده ، ومنظاره (تلسكوب) في جيب معطفه ، ودفتره في جيب صدره ، فكان على تمام الأهمية لأن يتلقى أى حادث يراه مستر بكويك جديراً بأن يدون ، وما هي إلا ساعة حتى كان مستر بكويك في ساحة سان مارتن وصاح مستر بكويك قائلاً : « عربية »

وتقدم اليه رجل مجيئاً إياه : « أنا آتيك بما طلبت أيها السيد » ، وكان هذا الرجل غريب الشكل حقاً ، كان صنفاً عجيباً من أصناف الآدميين يرتدى معطفاً من الخيش عليه ميدعة من هذا القماش ويحيط بمعقه شريط من النحاس يحمل رقمه ، كما لو كان قطعة من الآثار النادرة رقت لتوضع في ثبتها . وكان هذا الرجل سقاء الخيل في تلك الساحة فنأدى قائلاً : « هيا ... العربية الأولى ... » واتجه الى مستر بكويك مخاطباً إياه : لك ما طلبت أيها السيد . وما كادت تتقدم العربية الأولى من ذلك المكان حيث دخن مستر بكويك غايونه الأول ، حتى قذف بنفسه وحقيته في جوفها ، وأمر الحوذى أن يذهب به الى « جولد كرش » وأدار الحوذى رأسه الى صاحبه السقاء قائلاً في صخر خفي : « ان ذلك لا يساوى أكثر من شان ياتوم » وسأل المستر بكويك الحوذى ماسحاً أنفه بتلك القطعة من النقود التي أعدها ليدفعها أجر ركوبه : « كم عمر هذا الحصان يا صاحبي ؟ »

وأجاب الحوذى وهو ينظر الى مستر بكويك نظرة الدهش والحيرة : « عمره اثنتان وأربعون سنة » وأمرع مستر بكويك الى دفتره متمماً : « ماذا ؟ » « ماذا تقول ؟ » وأنقص الرجل عدد السنين الذي فاه به أولاً ، ووجه مستر بكويك نظراته إلى الرجل

واندفع الحوذى فاطم المستر بكوك لطمة
أطارت منظاره عن عينيه ، وواصل الهجوم بالسكّة
استقرت على أنف مستر بكوك ، وأردفها بأخرى
وقعت على صدره ، ثم بثالثة نزلت على عين مستر
سندجراس ، ورابعة من باب التنويع حلت ببطان
مستر توعان ، وانطلق الرجل يمدو راقصاً نحو
الشارع ، ثم عاد مسرعاً إلى الأفريز ، وانتهى بأن
أوقع الرعب في قلب مستر ونكل فقطع عليه
تنفسه وأفرغ جسمه مما نشقه من هواء ؛ كل
ذلك في ست ثوان خصب :

وصاح مستر سندجراس ... « أين رجل
الشرطة ؟ »

ورد بانع فطائر قائلاً : « ضهوم تحت المضخة »
ولث مستر بكوك بقوله : « سوف تجاوزون
أشدّ الجزاء »

وتصاح الناس بقولهم ... « مخبرون ...
مخبرون »

واستأنف الحوذى تهديده صائحاً ... « هيا ...
هيا ... » ، ولم ينقطع لحظة منذ أن بدأ الحركة
من توعده ونوبه

ولقد كان موقف الناس من تلك المشاجرة حتى
ذلك الوقت موقفاً سلبياً ، فلم يكونوا سوى
متفرجين ، والسكن ما كاد يذيع فيهم أن مستر بكوك
ورفاقه مخبرون ، حتى أخذوا يحبذون في حماس
ونشاط تنفيذ ذلك الاقتراح الذي ترايدت حرارته
حتى التهب ، ألا وهو اقتراح بانع الفطائر الساخنة ،
وأراني في غنية عن أن أبين ما كان يرتكبه هؤلاء
القوم من تمدد على أشخاص تلك الجماعة ، لولا أن
أوقف الشجار تدخل شخص جديد ، راح يتساءل :
« ما هذا ؟ ماذا بطربكم ؟ »

وكان القادم شاباً طويل القامة نحيف الجسم

ولشد ما تمجب هذا الرجل المثقف العالم ، إذ
رأى مثل ذلك الشخص الذي لا حساب له يلقى
بقطعة النقود على أفريز الشارع ، ويطلب إليه ، إلى
مستر بكوك : « أن يسمح له بشرف منازلته »
وبادره مستر سندجراس بقوله : « إياك يا هذا
لمجنون »

وأردف مستر ونكل قائلاً : « أو سكران »
وأيدهما مستر توعان بقوله : « أو الأمرين مما »
وراح الرجل يصيح : « هيا ... هيا ... أنا
لكم جميعاً ... سترون ... هيا »

ورأى ذلك جماعة من الحوذية فصاح أحدهم :
« هذا منظر ممتع » ونجموا حول الحوذى وخصوصاً
وتقدم أحد الناس فسأل « فيم هذه الضجة ؟ »
وأجاب الحوذى « نجة : مشاجرة ... ما حاجته
إلى رقمي ؟ »

وأجاب مستر بكوك وقد أخذته الحيرة : « لم أك
قط في حاجة إلى رقمك : »

وتساءل الحوذى : « إذن لماذا أخذته ؟ »
وأجاب مستر بكوك مفضياً : « لم آخذه ...
لم يحصل »

واستأنف الحوذى كلامه ، متجهاً إلى الجمهور
موجهاً إليه الخطاب « هل يصدق أحد ؟ هل يصدق
أحد ؟ ... مخبر يركب مني عريتي فلا يقتصر على
أشياء قبيحة ، بل يثبت كل لفظ فمت به !
إذ ذاك لاح بصيص من النور لمستر بكوك ... أنه
دفعه الذي ... »

وسأل أحد الحوذية : « هل فعل ذلك ؟ »
وأجاب الحوذى قائلاً « نعم فعل ذلك ، وبعد
أن يستثيرني لمهاجمته يأتي هنا بثلاثة من رجاله
يستشهدهم على ! ولكني سأهاجمهم مهما يكن من
الامر ... ولو كان من ورائها ستة أشهر . هيا »

وكان وجهه مبروقاً هزلياً ، ولكن حالا غريبة لا توصف من الرضاء وعدم المبالاة وضبط النفس كانت تغلب على صفات ذلك الرجل

ذلك هو الشخص الذي راح يحملني فيه مستر بكوك خلال منظاره وكان قد استعاد له حسن خطه ، ولما أن فرغ رفاقه من تحياتهم ، أخذ هو بدوره يقدم اليه أحر شكره على ما كان من مساعدته ؛ ورد ذلك الشخص في عبارات متقطعة : « دعك من هذا - كفى - لا تزد - إنه ولد شقي ذلك الحوذى ... كان يحسن توجيه المكانة ... ولكن لو كنت ... وقطع عليه عباراته سائقى العربية المسافرة إلى « ورشستر » إذ أعان اليهم أن عربته على أهبة الرحيل ، ونهض ذلك الشخص واقفا واستأذن الجماعة قائلاً : « تلك عربتي ... احتجرت فيها مكانا أترك لكم دفع ثمن الشراب والماء ... أراي في حاجة الى صرف .. فضة رديئة ... » ثم حياهم بهز رأسه تحية من برفهم حق المعرفة . وانفق أن كان مستر بكوك ورفاقه قد اعزموا أن يجمعوا « ورشستر » محط رحالهم الأول في سفرهم هذا ، فأخبروا الرجل بذلك ، ثم وافقوا على أن يتخذوا مقاعدهم في مؤخر العربية حيث يستطيعون أن يجلسوا معاً جميعاً

وساروا الى العربية وأخذ الرجل بيد مستر بكوك في غير مبالاة قائلاً : « هيا ... هيا ... اسعد » وقد أراد بذلك أن يقال من أهمية هذا الرئيس ، وينال من وقاره وتحشمه بطريقة ملهوسة . وسأل السائق الرجل : « هل من متاع أبها السيد ؟ »

— من ؟ أنا ؟ ليس سوى هذه الحزمة المفقودة في الورق البني ، فقد أرسلت بطريق الماء متاعى الثقيل — صناديق كبيرة ثقيلة ... كلنازل في حجمها ... ثقيلة ، ثقيلة جداً :

يرتدى حلة خضراء ، ظهر فجأة في تلك الساحة ورد عليه الجمع قائلين : « هؤلاء مخبرون » وأرعد مستر بكوك قائلاً « اسنا كما يدعون » ، وكان لقوله هذا نفمة مؤثرة حتى لتتخذ سبيلها إلى أى قلب لا يلين لماطفة

أما هذا القادم فقد شق بمرقبه طريقاً له في هذا الجمع ، وراح يتساءل موجهاً قوله إلى مستر بكوك : « لستم كما يقولون إذا ؟ » « لستم كما يقولون ؟ » وأوضح له ذلك الرجل المثقف حقيقة الأمر ، فتقدم وجذب مستر بكوك في شبه قهر ليخرجه من زحمة الناس ، وانتهر الحوذى وصرفه عنه ، وسار إلى خان هناك يتبعه مستر بكوك ورفاقه ، وجلسوا يشربون ويطعمون

وبينما كان رفاق مستر بكوك يقدمون لذلك الشخص شكرانهم ، أخذ رئيسهم باقى نظرات فاحصة على هندام الرجل ومظهره

كان طوله وسطاً ولكن نحول جسمه وطول ساقيه جملاًه يبدو أطول مما كان ؛ وكانت حلته الخضراء ملبساً أنيقاً شائعاً في أيام سالفة ، بيد أنها كانت كما يظهر في جلاء تزين رجلاً أقصر قامته منه ، فإن رديتها الخائل اللون الماطخين لا يكادان يصلان الى رصفيه ، وقد أحكت الأزرار سدها حتى العنق مما جعلها توشك أن تنقد من خاف ؛ ولم تك تتبين العين حول عنقه قبصاً ، إذ لم يك ثمة شئ سوى قطعة رثة من القماش تحلى جيده ، وكانت تتناثر هنا وهناك في مرواله الأسود الضيق رقع واضحة نهض دليلاً على قدم عهده . ولقد ربط هذا المروال ربطاً محكماً في نهاية ساقيه فوق خذائه البالى ليخفى جوربا أبيض قذراً ، تراءى للأعين على الرغم من ذلك ، وكان شمره الأسود ينساب في خصل تمدلى على جانبي قممته القديمة المتفضة ،

وتسأل مستر سند جراسى : — أنهدت ذلك المنظر الغمخ أيها السيد ؟

— « نعم ... رأيت رأى العين ... أطلقت رصاصة ... ثم أطلقت فكرة ... اندفعت الى حانة خمر ... أثبتتها ... عدت ثانية ... أزيز ... عزيز ... فكرة أخرى ... حانة الخمر ثانية ... قلم وجر ... عدت ثانية ... طعن ... ضرب ... ساعة مشهورة يا سيدى » ثم أبجه الرجل بفتة الى مستر دنكل سائلاً أياه : « أنت رجل صيد وطارد أيها السيد ؟ »

— « بمض هذا أيها السيد »
— « أن هذا الطرد أمر جميل ... هل لديك كلاب أيها السيد ؟ »

— « لا ... ليس لدى منها شئ بعد »
— « آه . ينبغي أن يكون لديك عدد من كلاب الصيد ... حيوانات ظريفة ... مخلوقات عاقلة ... ذات يوم كلبى ... اسمه پونتو ... غريزة مدهشة . خرجت للصيد يوماً ... خطوات لأجتاز سياجاً . أطلقت من شئ صغيراً ... الكلب لا يتحرك ... صغير ثانية ... پونتو لا يقدم ... واقف لا يتحرك هتفت به پونتو ! پونتو ! لا يريد أن يتحرك . واقف فى مكانه ينظر الى لوحة ... رفعت بصرى فرأيت عبارة مخطوطة « لدى حراس الصيد أوار أن يطلقوا النار على أى كلب يجتاز السياج » ، لم يشأ أن يجتازه ... كلب مدهش ... كلب ثمين حقاً كلبى هذا ... » ، وتكلم مستر بكوك قائلاً : « هذا شاهد عجيب ، هل تأذن لى أن أسجل هذا مذكرة عنه ؟ »

— « أسمع ولا ريب ... لا ريب أيها السيد .. مائة قصة عن هذا الحيوان إذا شئت »
(يتبع) (غامد)

وكان الرجل يدس تلك الحزمة فى جيبه وهو يجيب السائق ، وأكبر الظن أنها كانت تحتوى على قميص ومنديل

واستأنف الرجل عباراته حين اقتربت العربى من قوس أفيم على الطريق كان فى تلك الأيام بمثابة مدخل لساحة العربات قائلاً : — « الرؤوس ، الرؤوس ، خذوا حذرکم هذا مكان مخيف ، عمل خطر ... ذات يوم ... خمسة أطفال ... أم ... سيدة طويلة القامة تأكل قطعة من الخبز ... نسيت القوس ... احتكاك صدمة ... بنظر الأطفال وراءهم ... رأس الأم قد طارت ... قطعة الخبز فى يدها ... لم يمد هناك فم يلتقمها ... رأس أسرة طارت ... مؤلم مؤلم ... أترك تنظر الى « هويت هول » أيها السيد ؟ إيه أيها السيد ؟ أترك تنظر اليه ؟ إيه ؟ أترك ... ؟

وأجاب مستر بكوك : « كلا إنما أفكر فى ذلك النعاب الذى يلزم أحوال الناس »
— « آه ... أفهم ما تريد ، أنت فيلسوف أيها السيد ؟ »
— « أنا رجل أدرس وألاحظ الطبيعة البشرية عن كتب يا سيدى »

— « وأنا مثلك ، وإنك ترى معظم الناس كذلك ، حين لا يكون لديهم عمل ، وحيث لا ينتظرون كبير مغنم . أنت شاعر أيها السيد ؟ »
— « لا وإنما نجد صديقى مستر سند جراسى قد امتاز بحاسة شاعرة »

— « وأنا مثله ... ملحمة طويلة ... عشرة آلاف سطر ... نورة يوليو ... نظمت فى المكان نفسه ... مارس إله الحرب نهارا ... أبولو إله الغناء ليلا ... أعزف أنشودة الميدان وأغنى على القيثارة »

الصِّينِي

قصة واقعية نالت الجائزة في مسابقة القصص
الواقعية في مجلة (تروستوري) الإنجليزية

بقلم أحمد فتحي مرسى

وقد قدمتنى إلى صديق
لها يدرس في كلية الهندسة ،
يدعى جون بارت ، وقد
صادف هوى في نفسى
فتعاقنته ، إلا أن هذه الصلة
لم تدم طويلا ، فقد قدمتنى
بدوره إلى صديق آخر كان
له أبعاد الأثر في حياتى ، إذ
قلب نظامى رأسا على عقب ،

فطالما كان يحدثنى جون عن صديق له اسمه هارى لى ،
كثيرا ما كان يصفه بالذكاء وينعته بالجد فيقول :
— أنفذ قريحة عرفتها ياروز ... حتى ليخيل
إلى أنها تكبره بسنين عدة

وأصدقك القول أنى لم أحاول التعرف إلى ذلك
الصديق الجديد ، فقد كان فى جون كل ما آمله من
حياتى ، وكل ما أتمناه من عيشى ... وأخيرا شاء
القدر أن يجتمعنى بهارى ... وكان ذلك فى الربيع
الباكى ، وكنت قد صحبت رث ليرى إلى قاعة
المحاضرات ، وكانت قد غصت بالمدعوين ، فلم يبق
لنا مكان ما . ونجاة أخذت عيناى جون بارت ،
وهو ينحنى لنا نصف انحناء ويدعونا للجلوس فى
المقعد الذى أجلسنا فيه هو وزميله قائلا :

— سأستند إلى الحائط مع هارى قليلا
ومضت برهة قبل أن أجول بعينى لأرى
هارى ، ولكن وقع نظرى عليه أخيرا ، وكانت
نظراته كلها منصوبة إلى ، وقد سرت فى جسدى
رعدة خفيفة ، عندما سرحت الطرف فى وجهه
قليلا فاذا به صينى الخلق ...
وكان هارى أقصر قامة من جون ، ولكنه

كان والداى بعارضان أشد المعارضة فى إتمام
دراستى وإكمال ثقافتى فى الجامعة ، فعندما أعربت
لها عن رغبتى فى الالتحاق بتلك الكلية القريبة
من المنزل ، وقف أمامى حجر عثرة فى سبيل تحقيق
هذه الأمنية !

واقعدت كل منظر الفتيان والفتيات وهم فى
طريقهم إلى الجامعة يبعث فى نفسى الحسد ،
ويؤجج بين جوانحى نيران الغيرة . وطالما قات
لى والدنى وأنا جالسة إلى النافذة :

— إنى لا أحتمل أن أراك تذهبين إلى مثل
هذا المكان ياروز ، فكىم هو حافل بالغباء ، وكىم
هو غاص عن لا أخلاق لهم !

وكان والدى لا يقل عن والدنى أصرا ، على
الرغم من أنه كان يحرص على ألا يفضب وحيدته ،
ولكن الالتحاق كان من طباعى ، فلم أزل بهما حتى
جماهما ينزلان على رغبتى ، وينصاعان لأرادتى
التحققت بالجامعة ، وسرعان ما توثقت
عمرى الصداقة بينى وبين زميلة مرححة ، من الأراضى
الوسطى تدعى رث ليرى ، وكانت تدرس بكلية
العلوم بالجامعة

لا يخلو من سمات الجمال . فما كان أجمل وجهه الهادئ وأروع ابتسامته الساحرة :
وتوثقت الصلة وكثر التلاقى ؛ على أن ذلك لم يكن يشغله قط غن استيعاب دروسه ، ومراجعة بحوثه ، فكثيرا ما كان يحدثني عن آماله الواسعة وآرايه البعيدة ... كان يأمل أن يكون استاذًا في جامعة بكين في القريب المآجل

وكثر خروجنا الى الرياض الناضرة ، وارتبادنا المروج الزاهرة ، بين حديثه المذب وسموه الممتع ... ولقد حدثني مرة عن شجرة تفاح كثيرا ما اتخذ مجلسه تحت أفيائها المديدة ، وفي ظلالها الظليلة ، فسرنا اليها والقمر يرسل أشعته الفضية الى السهل فتففض أرجاءه وتشيب نواصيه ... وان أنس لا أنس تلك الجلسة الهادئة تحت أفنان شجرة التفاح وبين أغصانها المهدلة ... جالس كل منا يتأمل الآخر في ضوء القمر المرسل ، وأخيرا افترق نقره عن ابتسامه هادئة ثم قال :

— إنك مثل زهرة التفاح ياروز ، جمالا وروعة وسجرا

ومضت الأيام تتبع الأيام ، والشهور تقفواثر الشهور ، وكل منا لا يزيد إلا تعلقا بالآخر ، وتشوقا للقياء ، إلى أن كانت ليلة مقمرة من ليالى الصيف ، خرجنا فيها معاً نتمشى في ذلك الطريق الضيق خلف بناء الجامعة ، وإذا بهارى يضع يديه على كتفي فجأة قائلاً :

— روز إن حياتنا الآن تبدو كما لو كنا في زورق ، وسط بحر رهور تهددنا أمواجه في لين ، وبين ربح رخاء تدفعنا خفقاتها في رفق ؛ أفترى يسير بنا الزورق إلى النهاية أم ينقلب الحال ،

كان مفتول العضل ، قوى الساعدين ، وكان مستنداً الى الحائط ، وهو ينظر الى كأنما يريد أن يلتمسنى ينظراته ، فمراني الحجل وأدريت وجهى الى الجهة الأخرى ، ولكنى وجدت في نفسى شعورا غريباً يدعونى الى التحديق في وجهه ثانية ، وكان كلما يلتقى النظران أحس بشعور من الرهبة يسيطر على نفسى ويملك على مشاعرى

وعندما انفرط عقد الحفل ، كنت أود أن أهرب من ذلك الاحساس المتسلط على قابى ، ولكن جون ورفيقه كانا في انتظارنا فلم أتمكن من الافلات . وكانت رث قد عرفت هارى من قبل فلم يبد عليها أى اهتمام ، أما أنا فقد صحبتته الى المنزل وقد حدثنى هارى في الطريق عن المحاضرة ، وكان طريف القول ، جذاب الحديث ، دافع الحجة ، يجمع الى ذلك بساطة في التعبير ، وهندوما في النفس ؛ وهنا فقط أدركت صحة قول جون بارت « ان قريحته تكبره بسنين عدة »

ولما بلغنا المنزل دعانى الى نزهة خلوية بين الرياض ظهر اليوم التالى ترويحاً للنفس من عناء الأعمال ، واستجماما للفكر من النصب والملال ، فقبلت دعوته وانصرفت شاكرة

وعندما قابلنى هارى ظهر اليوم التالى حمل الى باقة من الزهر ، يفوح منها شذا المطار ، ويبدو عليها جمال التنسيق ؛ ثم قدمها الى قائلاً :

— إنك زهرة ناضرة كهذه الزهور ياروز ومنذ تلك النزهة أصبحت أرى شخصية هارى تتسلط على نفسى كل التسلط ؛ وكنت أعزو ذلك في أول الأمر الى اختلاف جنسيتنا ، وتباين مشربتنا ، وتباعد وطنينا ، على الرغم من أنه كان

أطار صوابها ، فانتقل بها والدى إلى مقاطعة
ديفونشير وطفنا الأول لتتنامى الحادث ، وتغنى
عن ذكراته المؤلمة

وقد ولد لنا طفلنا الأول في شهر إبريل ، وكان
السقام قد بلغ بي مبلغاً كنت أخال معه أنى أنأرجح
بين الحياة والموت ؛ وكانت تمنى بأمرى مع هارى
ممرضة تسهر على ، وترعى مضجعى

وفي اليوم الرابع بدأت أستروح نسيت الحياة
وأردد أنفاس العافية ، فزال عنى السقام وثاب إلى
الرشد ، فرحت

أجول بىصرى في
أرجاء الغرفة .
فاذا كل شىء على
حاله وإذا بهارى
واقف بجانب
السرير ينظر إلى فى
عطف ... وسمعت
صوت الطيب
يقول :

— لقد زال
عنها كل شىء الآن .

فبان السرور فى هارى وصاح :

— أملك تشعرين الآن ببعض التحسن يا روز .
أترغبين فى رؤية طفلنا العزيز ؟ إنه فى خير صحة وأتم
عافية ... ثم ذهب وعاد بعد برهة يحمل الصغير فى
لغافته ، ووضعته بين ذراعى لحظة ، ثم رفعه قليلاً
لأتبين وجهه فحمد الدم فى عروقى ... ليس هذا
طفلى قط ... ما هذه الخلقة الغريبة ... وما هاتان
العينان الضيقتان ... وما هذا الأنف الأقنى ...

فيضطرب البحر الهادى ، وتثور الريح الساكنة ،
فتنتهى الرحلة النهائية ؛ وتنقطع السفرة السعيدة ،
وأدركت فى الحال ما يرى إليه فقلت :

— ستسير إلى النهاية يا هارى ... إننى لأعياً
باللجة وإن أزدت ، ولا أحفل بالريح وإن عصفت ،
ولا أخشى شيئاً ما دمت فى جوارك
— روز ! إننى أحبك ... وسأحبك دائماً وإن

فرقت بيننا يد الدهر ، وفصمت عرانا مشيئة
القدر ... إن هذا بمنزلة على نفسى ولكنى يجب أن

أذهب . إن الحوائل

دون الزواج عديدة
يا روز ، ولكن حبي
لكلن يفنى ما تعاقب
الجديدان ...

ولكن ذهابه
كان فيه تحطيم قلبى ،
وعدم الزواج كان
فيه تحطيم آمالى ،
فأريت عليه ذلك ،
وأخيراً قر عزمنا
على الزواج .
كافتنا المجازفة



ولم يمض شهر على ذلك حتى كننا زوجين هائنين
بضمنا منزل صغير على مقربة من الجامعة ، أفردنا
فيه أنفسنا عن العالم ، وأخذنا إلى عيشة الأمن
والسكينة

وربما كان زواجى ساعة انقضت على والدى ،
فدارت بمقلبيهما ، خاصة وقد علمنا أنه شرقي المولد ،
صينى الأصل . وقد بلغت الصدمة من والدتى مبلغاً

— أريد أمي . . . أريد أمي . . . فاستمع جواب
هارى كأنه صادر من غور بعيد :

— سمعاً يا عزيزتى ، سأرسل فى طلبها اليوم
وبعد أيام حضر والدائ من (ديفون شير) ،
ومضت أسابيع قبل أن أجد فى نفسى القدرة على
السفر . . . وأخيراً ثابت إلى بعض عافيتى وأخذنا
أهبتنا ، وأعدونا عدتنا ، وجعلنا الشمال وجهتنا
ونزلت بأرض الميلاد ، بحرى الصبا وملعبه ،
فجددت أيام الطفولة المرحية ، وإلى الشباب السعيدة ،
وحرصت على ألا تعود إلى الذكريات إلى الخاف ،
أو بأخذنى الحنين إلى السالف

ومضى على ذلك عامان ، وأما سعيدة هائلة
العيش ، إلى أن كان يوم وقعت فى يدى بحلة
الجامعة ، ولا أعلم من أرسلها إلى ، ولكنى أرجح
أن تكون صديقتى « رث ليرى » . . . فخلعت
أتصفحها إلى أن وقع نظرى فجأة على هذه الحلة التى
غيبضت الدم من وجهى :

« بأسف الجامعة كل الأسف لوفاة الأستاذ
هارى لى ، الأستاذ بجامعة بكين بالصين ، وخريج
الجامعة بعد حياة قصيرة قضاها فى خدمة العلم »
فماتت وجهى غمامة من الحزن ، وتسانلت
الدموع على خدي . . . وأصدقك القول أن موت
هارى لى لم يكن شيئاً بجانب شيء آخر . . . ذلك هو
الطفل . . . ماذا جد من أمره ؟ . . . وما مصيره اليوم ؟
الموت دون شك

وأقبل الربيع ، فصحبت والدى فى رحلة إلى
جزائر الماديرا ، وهناك التقيت بجيرالد كبلو ،
وهو شاب إنجليزى يكبرنى ببضع سنوات ، ويشغل

وما هذا الشعر الملتوى ؟ كلا كلا . . . إن فى الأمر
خطأ ما . . . ليس هذا الدميم طفلى . . . ثم سحت فى رعب :
— خذنى عني بعيداً أيها الرجل ! هذا فظيع .
ليس هذا ولدى . . . خذنى عني بعيداً ! فبان الألم فى
وجه هارى ورفع الطفل عني فى رفق

إننى لم أحلم يوماً أن يكون طفلياً كهذا الطفل
الدميم . . . وثقل على الداء من أثر الصدمة ،
وعرنتى رجفة سريعة من أعلى رأسى إلى أخمص
قدمى ، فأسرعت إلى الممرضة ، وأخذت تسرى
عني وتخفف من لوعتى . . . أما هارى فكان جامداً
كالتمثال ، وبين يديه الطفل ؟ وكان وجهه شاحباً ،
وعينه غارتين حزبتين . . . فى لحظة واحدة تغير
الحال وتبدل الأمر ، وأصبح ذلك الرجل وولده
بفيضين إلى كل البغض ، حتى إننى لم أطق النظر
إليهما ، فصححت :

— اذهب عني بعيداً أيها الرجل . . . إننى
أعتقدك من كل قلبى . . . اذهب عني بعيداً إننى
لا أطيق أن أراك حياً ، لا أنت — ولا طفلك
الدميم . . .

وأخذتني ثورة من الغضب ، فأسرعت الممرضة
إليه قائلة :

— الأفضل أن تذهب الآن يا مستر لى ، إنها
لا تسمى ما تقول الآن

ولكنى كنت أمى ما أقوله تماماً ، ولقد
رأيت هارى ينكص على عقبه تجاه الباب ، ثم
أخذنى الاغماء ، وعاودتني الغشية . . . ومضى على
ذلك أيام وأنا لا أكاد أمى ما يدور حولى ، وما
يجرى بجانبى . وكل ما أذكر الآن أننى كنت
أردد دائماً :

وبلغنا شنفهاى فقابلنا « ولارد كاين » وهو
صديق قديم لجيرالد ، وكانت معه زوجته وأخوها
السيد جورج بايل ، فدهونا للاقامة معهم فى منزلهم
الريفى فى الضواحي ربنا ينجز جيرالد أعماله ويعود
إلينا فى نهاية الأسبوع . فلبينا الدعوة وكان المنزل
صغيراً جميلاً ، تحيط به الحدائق من كل صوب ،
وتلطف به مروج السهول ، ويجرى من تحته نهر
رائق الماء عذب المورّد

وعلى الرغم من كل ذلك فانى كنت أوتر
سكنى المدينة ؛ ففيها تأنس نفسى ، ويسكن قلبى ،
وابتعد عن تلك المشاهد المؤثرة ... فاطالما كنت
أرغب الصيادين صاعدين إلى ذروة التل ، أو هابطين
إلى قرارة السهل ، وقد أضناه الجوع وافوا بطونهم
من الطوى . وكان يقول لى خادمنا يوش :
— إنهم جياع ياسيدنى ... يبحثون عما
يتبلغون به ...

وخرجنا ذات يوم لزيارة ذلك المعبّد العتيق
القائم على ضفة النهر فقال يوش ... إنه غاص
بالكهوف والمخابئ ... التى سياجاً إليها هؤلاء
الجياع عندما يقومون بشورهم ايتحرزوا بها من
أعدائهم

وقد قابلنا أحد هؤلاء الجياع عند ضفة النهر
فألانا عما إذا كنا إنجليزاً ، وأخذت آرت
تضحك منه وتحدث معه برهة ثم سأته عن اسمه
فقال : واه بو

وفى صباح اليوم التالى بينما كنت فى حديقة
المنزل ، وقع نظرى فجأة على واه بو وزميل له
يحدثان فى وجهى بفضول عجيب فلما رأنى واه بو

فى تجارة الآلات ، فراه جمالى ، وعلقته حبالى ،
ورأيت منه ما رأى منى ، فأنست إليه ، وألفت
صحبته ... ولم يمض على ذلك ثلاثة أسابيع حتى كنا
زوجين . وكان والدى قد أمر إليه بزواجى السابق
وأخبره أن الرجل قد مات ، ولكنه لم ينبس أمامه
ببنت شقة عن أصله ولا عن موطنه

ومضى علينا زمن رقت فيه علينا ظلال
الأمّن ورفرت فوقنا أجنحة السعادة ، إلى أن
رزقنا الله طفلة أسميناها آن روز ، نجمع إلى رائع
قلماتها ، وجميل ملاحظها ، صهبة شمى ، وصفاء
عيني أبيها

وكان اتساع أعمال جيرالد يتطلب منه طول
التجوال ، ودوام الترحال ، ولم أتمكن من
استصحابه فى أسفاره ، حالاً كانت آن صغيرة ؛
فلما شبت وترعرعت ، كنت أتركها تحت عين
الربة ، حتى تعود من سفراتنا

ولما بلغت آن السابعة من عمرها ، أدركت
والدى المغيبة ، ولم تلبث والدى أن لحقت به بعد
بضع سنوات

ومضت الأيام إثر الأيام ، والسنين تلو السنين
إلى أن كان يوم من أيام الصيف ، أخبرنى فيه جيرالد
أن أعماله تضطّره إلى السفر إلى شنفهاى لأنجاز
بعض مهام الشركة فى الصين ، وزاد على ذلك أن مدير
الشركة رجا منه أن تزامن كرمته مارى وحيدتنا آن
فى رحلتها

وبعد أيام كنا فى طريقنا . وكانت مارى تكبر
آن بمدة سنين ، ولكنهما تآلفا تآلفاً الأخوات
وتماقت كل منهما صاحبها

ابتسم وأشار إلى زميله قائلاً :

— صديقي لي هانج ياسيدي

وكانت عيناي هنج الضيقتان مصوبتين إلى
كأنهما قطعتان سوداوان من الزجاج ... وهنا
أحسست بالوحشة ... وبدأت تتمثل أمامي مخاوف
الصين ، وهمت بالنكوص على عقبي إلى المنزل ، فقد
كانت عيناي هنج كأبرتين استغرقتا في فؤادي .
سرعان ما تحول هو وصديقه ومضيا السبيلهما فمدت
إلى المنزل أجرة ساقى جرا

وقد رأيته مرة أخرى مع جورج بابلي فقال
لي باسم :

— يقال إن لي هانج هذا نصف الإنجليزي

— نصف إنجليزي ؟

— أجل ... فقد كان والده أستاذاً في جامعة
بكين ... ومات وهو طفل ... فنشأ بائساً طريداً ...
وأحسست في هذه اللحظة أن الأرض تدور من
حولي ، وأن رأسي بثقل على رويدا رويدا ؛
فاستأذنت وقصدت غرفتي فلم أتم تلك الليلة ، ولم
يطرق السكرى جفني ، فتنازعني الهموم ، وتخالجتني
الوساوس ... ما أشقائي ... لقد جنيت عليه ...
يا إلهي أهذا جزاء ما قدمت يداي ؟ ... أرى
سقتني إلى هنا ليقبطني مبرح الألم ولأنال
صارم الجزاء ؟

وخرجت إلى ضفة النهر ، حين تنفس الصبح
أنشد النسيان على ضفافه النصيرة . ولشد ما كانت
دهشتي عندما وجدت نفسي أمام لي هانج وجهاً
لوجه ... ولقد أربعت منظره ، وأخافتني عيناه
فهتفت في صوت مخنوق :

— إذهب ... إذهب عني بعيداً ... فقال

في هدوء :

— إنني لست كاتباً ياسيدي فاطرد كما تطرد

الكلاب ...

فقلت وأنا أغالب الدمع :

— إذن ، إذن ما الذي تريد مني ؟ ...

فقال في سكوت :

— لا شيء ياسيدي ... إلا أن أخبرك أنني

أحتقر كل الإنجليز ، ولوددت والله لو كانت رقابهم
طوع يعني ... إذن لسا أبقيت عليهم

ثم استندار على عقبيه دون أن ينبس ببنت
شفة ، ومضى لسبيله على ضفة النهر وأنا جامدة في
مكاني أنايمه بنظري وهو يتبعد عني رويدا ... رويدا
وإذا بنظري يقع فجأة على ستة رجال يمثلون
أمامه في هيئة وجلال لم أثبت معرفة أحداً منهم
سوى راه بو . وقد رأيت (لي) يتحدث معهم
لحظة ثم يوميء لهم بطرف البنان إلى آن وماري
وكانتا تتضاحكان على ضفة النهر ، وقد جاس يوج
على كئيب منهما ، وأسرع الرجال تلبية لأوامر
زعيمهم فأحاطوا بالفتاتين ... وانتبه يوج فأسرع
إليهما فاطمعه أحد الرجال ... وسمعت في هذه
اللحظة صوت لي هانج قائلاً :

— هيا ... هيا اسرعوا بهما

والجسم الخوف لساني ، وأسقط في يدي ،
وحاولت السباح ، فلم أسمع صيحتي ، وأخيراً
أسرعت إلى هنج متوسلة :

— لي هانج ... لاتفعل ذلك ... رفقاً بي ...

لاتفعل ذلك يا هانج ، فتوقف عن السير لحظة ثم
نظر إلى وكانت عيناه كميون الموتى شاخصة
لا تتحرك ، جامدة لا تطرف ... ثم قال :

— غداً سيعود زوجك من شنغهاي ...

خذي منه الفدية ... وسأرسل لك راه بو غداً

الأخت البارة ، فأخذت تسرى عني ، وتطمأنني
على الفتاتين ، ثم قالت إن أخاها خرج للبحث عنهما
وفي شهر اليوم التالي وصل جيرالد والسيد
كلين ... وكان بونج قد طلع عليهما بحماية الخبر ،
فتطير جيرالد وجزع كلين ، ورفض الانتظار
ريثما يصل رسول هانج ، فخرجنا جميعاً ووجهتنا .

ذلك المعبد الذي
أخذته هؤلاء
الأشرار حصناً
يتحصنون به ،
وماجاً يشحزون
فيه من عارة
الغير وهجوم
العادي ... وبالغيا
المعبد ... وما إن
توغلنا في مماشية
المظلمة وفي مسالكه
الداجية ، حتى أحاط
بنا فجأة ستة رجال ،
ولكني دفعتهم في
شدة وشققت طريقي
إلى لي هانج سائلة :



ووصلت السيدة كلين على صوت صراخ
الفتيات وعوبلهن ... فأسرعت إليهما ، ولكن
الرجال وقفوا في سبيلها فساحت فيهم :
— سيكون الموت جزاءكم على هذا أيها
المجرمون
وكانت آن تناديني وهي تصرخ بأكية بين حين
 وآخر ... فطار

صوابي وألقيت
بنفسي على هانج
فدفعني بيده قائلاً :
— تنجني عني
أيها المرأة ...
جهزي المال غداً
فتعادي إليك الفتاتان
— هانج ... !
أصغ إلى ... لحظة
واحدة يا هانج ...
فدفعني ثانية ؛
ولكنني تشبثت به
قائلة :

— هانج ! لا
يمكن أن تفعل

ذلك ... إني أملك يا هانج ... إنها أخفك هذه
التي بين يدي الرجال ... هانج ...
وأخذني الدهول ... ودارت بي الأرض
الفضاء . ثم سقطت مغشياً على

عند ما أفتقت من الانغماء كنت راقدة على
السرير وبجانبي السيدة كلين التي كانت لي نعم

أين هما يا هانج ... أين الفتاتان ؟
وفي تلك اللحظة برز (واديو) بين سـخـور
المعبد وهو يحجز بذراعيه الفتاتين ، فأسرع إليه
أحد الرجال ليغيثه على إعادتهما إلى محبأهما ، فتملك
جيرالد الغضب وطار إليه ، وفقد صوابه ، فقبض
على مسدسه وصوبه إلى ذلك الرجل ، ثم أطلق
عليه النار ، فأرداه قتيلاً يتضرع بدمائه

تحت أقدامه بعد أن لقي حتفه في سبيل انقاذ حياته
على الرغم من أنه أساء إليه

ونسيت هذه اللحظة كل شيء في العالم ، إلا
هاتين المينين الوادعتين اللتين تنظران إلى في حزن ،
والا ذلك الوجه الشاحب الذي أذبله الموت وملأه
الأسى ، فركعت بجانبه ورفعت رأسه على ذراعي
فابتسم هامساً في كلمات متقطعة :

— عفواً يا سيدي ... لقد ... كان عملاً
جنونياً ... إنني ... لم أسئ ... إليهما ... ولكن
حقاً ما كانت أفساني أن أفرق بين الأم وفلذة
كبدها ... عفواً يا سيدي إنني لست ... جديراً ...
أن تسميني ... بيدك ... الكريمة ...

وشمرت في هذه اللحظة أن قاي يكاد يقطع
الأسى ، وبغربة الحزن ، رفعت رأسي إلى جيرالد ، فجثا
بجاني ، وكان شاحب الوجه غار العينين ، فقات له :
— جيرالد ... لقد أنقذ هذا الفتى حياته ...
أفلا تشيخه بكامة شكر تخفف عن نفسه ألم الجرح
ووطأة الموت ...

ثم اندفعت أقول في حزن :

— جيرالد ... ان أكتملك شيئاً ... إنه ابني
يا جيرالد ... ابن (هارى لى) ، فارتفع حاجبا جيرالد
من الدهشة ، وانسعت حدقاته ...

حقاً لقد كان من القسوة أن أجابه بهذه الحقيقة
المؤلة في ذلك الطرف المصيب ... وقال في تردد :

— أكن ... أكن هارى لى صينيا ؟

— أجل ... وكان رجلاً كريماً

وفي تلك اللحظة رأيت شفتي هانج الذابتين
تهمسان في ألم :

— كم أنت .. كريمة .. يا سيدي .. إن والدي

ثم حى وطيس المعركة بين جيرالد وكاين وبين
الصينيين ، وظل القتال سجالاً إلى أن تغلب العدد
على القوة ، فاستسلم جيرالد ، ولطف من كبريائه ،
وخفف من غلوائه ، ووقف مغبطاً مخنقاً ... وهو
ينظر إليهم شرراً ... والتقت عيناى بعينى هانج
وكانتا تشمان يبريق الحزن والمطف ثم قالت :

— أتوسل اليك يا هانج لا تسميها بسوء

وهنا لم يطق جيرالد أن يراني أتوسل الى ذلك
الرجل فقال :

— أتتوسلن إلى ذلك المجرم ياروز ؟ ثم اندفع

إلى هانج في غضب واطمه اطمة قوية . فابتسم هانج
ولم يتعملل في جاسته ، ولم تنفرج شفته عن كلمة ما ،
بل ظل جامداً هادئاً ... وشهد الرجال ما حل
بزعيمهم . فلأثم الغضب ، وأخذتهم الحمية ، فصبوب
أحدهم مسدسه الى جيرالد ، وهم باطلاق النار ،
ولكن هانج كان أسرع منه ، فألقى بنفسه في طريق
الطاق ، واعتزله بصدرة قبل أن يصل إلى جيرالد ،
فنفذت الرصاصة في أضله ، واستقرت في قلبه

وسقط لى هانج فالتف حوله الرجال ، ونظرت
إليه فاذا الألم عملاً عينيه وهو يحدق في وجهي في
صمت ... ثم غمغم إلى رجاله بيبضع كلمات لا تخلو
من لهجة الأمر ، فانطلق منهم اثنان ، ثم عادا بعد
برهة قصيرة ومعهما الفتاتان ... واندفعت الى آن
تطوفني بذراعيها ... ووقع بصري من فوق كتفها
فجاء على هانج وهو يحاول أن يدير رأسه في ألم
لينظر الى ... وكأن الألم قد أذبل جفنيه ، وأطفأ
بريق عينيه ، وغمر وجهه فبدأ ساهماً حزينا

وإلى هذه اللحظة لم يكن يعلم جيرالد شيئاً عن
حقيقة هذا الشاب الكريم الذي يلفظ أنفاسه

تعلمي أنني قت بما ترغبين ... انه يرقد الآن
بجوار والده

— شكراً لك يا جبرالد

وعدنا الى الوطن العزيز ، ومضت الأيام تتبع
الأيام ، والشهور تترسم خطى الشهور ، الى أن كان
يوم أدهشني فيه أن بقولها :

والدتي ... ان شبيح لي هانج لا يزال مائلاً في
خاطري ... لقد سمعت والدي يقول : (يجب أن
ننساه) . ولكن لماذا ننساه ؟ اليس هو الذي أنقذ
حياته ؟ لقد كان نبيلاً حقاً يا والدتي . فمئذ ما أخذونا
اليه أكرم وفادتنا ، وكثيراً ما كان يجلس الى قائلا :
أختي الصغيرة .. كم أنت جميلة كزهرة التفاح !
ولما جن الليل تنحى لنا عن سريره واقترش
هو الأرض .. كم أنا حزينه عليه يا والدتي ! .. وكـ
أحاول نسيانه فلا يسمعني القاب !

فنظرت اليها في عطف ... ثم قلت لها وأنا
أغالب الدمع :

— حقاً يا آن ... لقد كان شاباً نبيلاً ما

أحمد قنمى مرسى

قصص اجتماعية

مترجمه بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

مجموعة من القصص الرفيع الشائق لثمانية من أعلام
الأدب الفرنسي م : بورجيه - كوييه - أناتول فرانس -
موباسان - تيريه - مارسل برينفو - دي بانفيل - جان
لوران - مع تراجمهم النقدية - و مترجمة بأسلوب فائق -
في ثلاثمائة صفحة طبع دار الكتب

ثمنه ١٠ قروش وبيع مؤقثاً بـ ٦ قروش بخضم ٥٠٪
عند البريد وهو قرشان للداخل القطر وأربعة خارجه
ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب

يرقد في بكين ... وأود أن ... أرقد في جواره ..
فقلت له :

— سيكون لك ذلك يا هانج

ونسي جبرالد كل شيء ، إلا أنه في حضرة
شاب يلفظ أنفاسه الأخيرة بين يديه ، بعد أن
نجاه من الهلاك ؛ فأنحى عليه في رفق ، وأخذ
يمسح عنه العرق المتصبب من جبهته

وخفضت بصرى فاذا عينا هانج الحزينتان
لا تحولان عن وجهي ، وكأنها سهام مسددة إلى
صميم فؤادي ... يا إلهي لماذا أتيت من أقصى
العالم إلى هنا ؟ ... أنشهد الأم الجاحدة مصرع
ابنها الطريد ... أم يلفظ الابن أنفاسه الأخيرة
بين ذراعي أمه ... هاتان الذراعان الجاحدتان اللتان
نبدماه طفلاً ، وتحتاه وأيداً

وصارت بيدي على جبهته الباردة ... فابتسم
قائلاً في صوت خافت :

— سيدتي الكريمة ...

ثم أطبق شفتيه الذابلتين ، وأغمض عينيه
الصافيتين ، ومال برأسه الشاحب الى الخلف
وقام جبرالد فرفعه من بين ذواعي ، فقلت له
وأنا أغالب الدمع :

— يجب أن يرقد ذلك الفتى بجانب أبيه
يا جبرالد

— سأعمل على ذلك يا روز

وعدنا إلى المنزل ، وأنا ذاهلة تماماً عما حولي ،
لأنني شديداً ، ولأدرك قولاً ، وبعد أيام أعدنا عدتنا
وأخذنا أهبتنا ، وعدنا إلى شنتهاى ، ثم قصصنا
لترأى الى الباخرة ، فلما وطأتها أقدامنا نظر الى
جبرالد قائلاً :

— روز ... قبل أن تغادر الصين .. يجب أن



يَوْمِيَّانَا فِي الْإِرْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

(تابع)

١٣ أكتوبر ...

انتهت الجلسة عند العصر ، وقد خرجت منها عظم الأعصاب . وما كدت أفترق عن القاضي حتى وجدت في وجهي أحد المساكر يحمل أكداساً من « نماذج » تنفيذ الأحكام ، يقدمها إلى للتوقيع . فوضعت إمضائي دون وعي على هذه الأوراق التي ليس لها آخر . وإمضائي الآن لا يمت بصلة الشبه إلى اسمي . فقد أصبح مع السرعة وكثرة التوقيع خطأ أو خطيئ ألقبهما حينها اتفق . وما إن فرغت من ذلك وقد تصبب مني المرق حتى سمعت من بضرب الأسفلت بحذاءه ويرفع كفه بالسلام :

— التحقيق منتظر فوق في قضية ضرب النار ! ولكن للقوة الأدمية حدوداً . ولم أتباع بلقمة ولم أطرح جسمي على فراش منذ . منذ أمس الأول . فما تمالكت أن قلت :

— ضرب نار في عينك ؟ لو كنا عسكرياً في الخنادق ، أو في حرب الدردنيل لأفوا بحالنا وخافوا على صحتنا ...

لكن ما ذنب الحفير أوجه إليه هذا الكلام ؟ فتركته وسرت في طريقي ، وصعدت إلى مكنتي

في الطابق الثاني فألفيت بيباه الفتاة « ريم » منتظرة مع الحراس وعلى مقربة منها الشيخ عصفور بعوده الأخضر ؛ واست أدري ماذا ينتظر مع المنتظرين ؟ وأنعشني قلباً صراي الفتاة كما ينتعش العشب الذابل بقطرات الندى . ودخلت حجرتي فرأيت المأمور والمعاون وكاتب التحقيق جالسين في نشاط المستيقظ من نوم صريح ، فعلت أنهم آتون الساعة من منازلهم ، وأنهم الآن على استعداد لقتل الوقت في هذه القضية ، فذلك خير من لعب « الطاولة » في النادي أو مص القصب أمام الأجزاء الخانة . أما أنا فأنسان لا يصلح الآن لشيء إلا للرقاد سبع ساعات متواليات . فأعلنت الحاضرين برعيتي في تأجيل التحقيق إلى الغد ، فأذعنوا . ولكن بدا مشكل لم يظن إليه أحد : هذه الفتاة أين تبيت ليلتها ؟ إنها الآن على مسافة بعيدة من قريبها . وليس من الرأي أن تمود لتأتي مع الصباح . فقد يتصل بها بعض من يعينهم أمر القضية من الأهالي والشهود فيلقنونها ما لا يستقيم مع الصدق والحق ،

وهي لا نعرف أحداً في هذا المركز ولا أهل لها به .
هنا صاح المأمور كمن وجد الحل السعيد الموفق :

— المسألة بسيطة . البنت تنام في بيتي
للصبح . فالتفتنا إليه جميعاً في شبه ذعر ؛ ثم
تمالكنا أنفسنا ، ولست أدري كيف دب
فيما نحن الحاضرين نفس الشعور في نفس الوقت .
حتى الشيخ عصفور ، وقد زحف خافي وداف إلى
الحجرة ، ظهر في عينيه القلق . وكان الموقف دقيقاً .
إن أي اعتراض منا معناه الريبة في سلوك حضرة
المأمور ؛ ومن جهة أخرى إذا سلمناه هذا الحل
الوديع فإن الله وحده هو المنجي . فهذا المأمور قد
شاعت له شائمة أنه استمتع ذات يوم فلاحه
دخات عليه بشكوى ، وأراد أن يختل بها ، فأمر
عسكره وخفرائه أن يدخلوا سجن المركز ويحلقوا
ذقون المساجين . فلما دخلوا أغلق عليهم الباب من
الخارج وحبسهم ساعة انفرد خلالها بالمرأة .
تذكرت ذلك وقلت في نفسي : إذا ساءت الأمور
وتخرجت فأى عبء يوقر ضميري أنا وكيل النيابة
الذي دفع بيده هذه التفاحة اليانعة إلى هذه
الأنياب التي يسيل منها اللعاب ؟ ! العجيب أن
الحاضرين كلهم قد أطرقوا ووجوا كمن قد أبقن
وقدر أنها أكلت ومضت وانتهى الأمر ؛ وأراد
المأمور أن يدخل علينا الاطمئنان فقال :

أنا غرضي أنها تكون في محل أمين بين
زوجتي وأولادي

ولم أجد بداً من الازعان . وترك المكان
وانصرفت إلى منزلي . وتناولت شيئاً من الطعام
على عجل . ثم أويت إلى فراشي واستغرقت في نوم
لم أصبح منه إلا عند منتصف الليل . قمت عطشان
فشربت جرعة من « القلة » الفخار بالنافذة .
وتذكرت الفتاة وتخيلتها في بيت صاحبنا فنفر

من رأسي النوم . وتمنيت لو يقع الآن حادث أقوم
له ومي المأمور . ولكن الحوادث كالقطط إذا
ناديتها رفضت المجيء وإذا طردتها جاءت تتمسح
بالأقدام . ولم أجد ما أصنع . وخالجني ريب
وشكوك . وطال الليل في نظري وسميح وتمنيت
طلوع النهار . وأردت أن أشغل فكري بتدوين
يومياتي فجمد القلم في يدي . ووقع بصري على
أكوام من قضايا الجنج والمخالفات والموارض من
« إيراد » اليومين السابقين أرسلها إلى كاتب
الجدول لقراءتها وتقييدها ووصف التهمة وتوقيعها
إلى الجلسات . فلم آنس عندي ميلاً إلى العمل .
فأبجته إلى النافذة وفتحتها واستنشقت هواء الليل
الرطب ، ونظرت إلى النجوم تشرف على هذا
السكون الشامل في هذا الريف النائم ، كأنها عيون
ساهرة مطامة على خفايا الأشياء ...

جاء خطر لي أن أردني ثيابي وأن أنزل إلى
الطريق وأرود حول منزل المأمور . ما هذا الجنون؟
أما أفعل ذلك ؟ وإذا (ضبطي) خفير الدرك ؟ إنه قد
يعرف شخصي فيمتنذر . ولكنه سيخبر الناس
ويشيع الخبر وتكون الفضيحة . لا مفر إذن من
انتظار الصباح وما يأتي به ...

على أن الله لطف بي آخر الأمر فأرسل إلى
إشارة تليفونية ، طالعها في الحال فاذا هي واقعة
تافهة مما لا تقوم لها بالليل :

« ... مرور قطار البضاعة غرة ٢٠٩ خط
الداتا الضيقة عند الكيلو ١٧ أثناء عمل مناورة
وجد سمار حدادي على الشريط . والحادثة بفعل
فاعل مجهول ... الخ الخ » . وقد أثير المأمور في
ذيل الإشارة بانتداب حضرة معاون الإدارة للانتقال
وإخطار البك وكيل النيابة للعلم . ومعنى ذلك أنه
لن يقوم ولا يرد لي أن أقوم . ولكن كيف أضيع

ولم أعقب على كلامه بحرف ، ولم أنبس طول الطريق بكلمة حتى بلغنا السكيلو ١٧ ، ووجدنا عمال الدريسة وقطار البضاعة وسائقه . وقدم إلينا نائب العمدة السمار ، وأشار إلى عربية تحمل بأكياس من القطن كادت تخرج عن القضيب ، فتناولت السمار بين أصابعي وجعلت أخفصه ، والمأمور خافى بقول باسمك : — « كان العطش جى فين ، لما الوابور وقع انكسر ! » ، فعلمت أنه يهزل ، وأنه يشير إلى تلك الأغنية التي كانت شائعة منذ ثلاثين عاماً يوم كانت شفيقة القبطية تجلس على عرش الطرب . وسمع السائق تلك العبارة وحملها يحمل الجد فتقدم يقول : — لا حصل كسر ولا وقوع يا فتد ! وأنا ساعة الحادثة كنت جنب الفرملة ، وربطت في الحل . . .

ومضى يسرد آراءه قائلاً إن أهل هذه المنطقة بسطاء العقول ولما هم من أصلاب تلك القرية التي « عرمت » القطار في أول ظهوره وقدمت إليه الطعام والشراب ، ولا يبعد أن يكون أحد هؤلاء الأهالي قد دفعه المبط أو حب الاستطلاع أن يضع هذا السمار على الخط الحديدى ليرى ما يصنع القطار ، وكيف يتصرف ، وكيف يقع على جنبه أو على وجهه . وتقدم عامل دريسة فقال : إن المسألة ليست مسألة بساطة أو بلاهة . إنما هو انتقام من الشركة ، فالأهالي في هذه الجهة يمشون على استخراج الحمى من الجبل ونقله على الخير والجمال وببمه للمقاولين ، فقامت شركة سكة حديد الدلتا الإنجليزية فدمت هذا الخط حديثاً إلى الجبل وخصت نفقها بهذا المورد وانتعرت بذلك حتى هذا الحمى من أفواه هؤلاء الجياع الساكنين ، وسواء كان هذا هو السبب أو ذاك فإن الفاعل هنا أيضاً غير معروف ولا ينتظر معرفته . وقد انتهينا من الأمر بأن

هذه الفرصة التي هبطت من السماء ؟ ليس أحب إلى الليلة من أن أفلق راحتي وراحة حضرة المأمور . وارتدت في الحال ثيابي وأمرت بإحضار السيارة وصرت بمنزل صاحبنا . وأطلقت عليه من يوسع بابه طرقا ويخبره بانتقالى . فأطل الرجل من نافذة صانحاً : — مسمار صغير تقوم له كلنا بالليل !

فأخرجت رأسي من نافذة السيارة :

— لو كانت إبرة . ما دامت الحادثة بفعل فاعل أصبحت جنابة . لاحظ أنها جنابة تعطيل قطار ، أخطر جنابة في الدنيا . لا بد من حضورك يا حضرة المأمور — أنا ... أنا انتدبت مامون الادارة

— لا بد من حضورك شخصياً

— الليلة .. مستحيل .. أنا الليلة .. تعبنا ..

— كلنا في التعب سواء ؛ لكن الواجب

يحتم علينا . . . !

فأطرق المأمور لحظة مفكراً في ضيق وامتناع ، ورأى عزيمتى واستماتنى ، وخشى أن يعارضنى في أمر متعلق بالعمل ، فأذعن وطلب إلى الانتظار هنيهة حتى يرتدى ثيابه ، ونزل وجلس إلى جانبي في السيارة وهو ينفخ من الغيظ . وتنبهت إلى غيبة الشيخ عصفور . إذ على الرغم من صوت البوق لم يبد له أثر ؛ وكان فكر المأمور مشغولاً هذه المرة ، فلم يفتن أغنياب الشيخ ، فلقد مضى في إطراره برهة ثم قال :

— أى نعم ! الواجب يحتم علينا . . . لكن

بمعنى . . . مسمار ! ؟ فأغمضت عيني حتى لا ينتظر منى جواباً ، فاستطرد :

— الله يسميه بالخير وكيل النيابة سافك . كان

يسأل في قضية القتل شاهدين لا غير ويقفل محضره ويميل على : « هو القاتل أبونا والآ أخونا ؟ قم نبيل ريقنا بكاس ! »

— التحقيق انتهى ؟

— من زمان !

فنظر إلى المائدة التي لم يوضع عليها شيء بعد
ثم نظر إلى :

— جميع الشهود أعطوا أقوالهم ؟

— جميعهم

— ولا شاهد واحد فاضل . . ؟

— ولا رابع شاهد

فتركني وخرج سريعاً ثم عاد بعد قليل يجذب
أحد الأهالي من « حرامه » ودفعه أمامي دفعاً
وأشار إليه وقال :

— شاهد مهم قوى ، عنده أقوال

فأبدت ارتياحي في قيمة كلام هذا الرجل
ورغبتني في الاكتفاء بمن سألت من شهود . ولكن
المأمور ألح في الرجاء أن أصنى إلى هذا الشاهد فأن
لديه معلومات ذات أهمية عظيمة . فنشرت ورقى
من جديد وما كدت أبدأ في إلقاء السؤال ، حتى
برز العمدة وخلفه خدمه يضمنون الطعام على المائدة .
وارتفع صوت سيد الدار يدعونا إلى الفطور .
فاعتذرت بضعف صحي وامسأكي عن الأكل عادة
في الصباح . فانطلق من فم العمدة قسم غليظ .
وتواطأ في الحال مع المأمور على حملي من مكاني حملاً .
وإذا بي أجد نفسي في صدر المائدة . فأذعنت ،
وجعلت أنظر ساعة إلى هؤلاء الخلوقات وبينهم
المأمور بأكلون وينهشون ويزددون وقد انشغلوا
بأنفسهم فلم يفتنوا حتى إلى قلة أكلتي ؛ وقت من
بينهم متسلاً بعد قليل وجلس في مكاني الأول
أنتظر تارة وأتصفح محضري تارة إلى أن فرغوا من
أمر بطونهم وأتوا على ما فوق الخوان وقاموا بمسحون
أيديهم في غطاء المائدة الذي لم ير وجه الصابون
منذ عامين ، وأقبل على المأمور يتجشأ ويقول :

وضمنا السار داخل « حرز » وختمنا عليه بالشمع
الأحمر وأرفقناه بالأوراق . . . إلى آخر هذا الكلام
الرسمي الذي هو كل بضاعتنا ، وكان الندي قد
تساقط على رؤوسنا فرآى المأمور فتح المحضر في
« دوار » العمدة ، فسألت عن المسافة بيننا وبينه ،
فرد نائبه قائلاً :

— « فركة كمب » يا حضرة البك !

فصدقناه ، وسرنا على أقدامنا حتى كادت
مفاصلنا تتخلع ، وما وصلنا حتى أذن الفجر في
زاوية الناحية ، وتركت المأمور « يسمخ » لنائب
العمدة على « فركة » الكمب ، وانهمكت في فتح
المحضر وسؤال الشهود حتى فرغت منهم جميعاً ،
وأردت أن أختم محضري ، وإذا بي أرى حركة
نصب مائدة واعداد طعام وحضرة المأمور قائماً
قاعداً ينظر في الخوان ويدخل ويخرج دون أن أعلم
ما يشغله من الأمر ، وأخيراً سمعته يقول للعمدة في
ناحية :

— اسمع يا عمده ! البك الوكيل لا يحب الخرفان
على الصبح ولا الديوك ولا حاجة أبداً ، ولكن لا بأس
من كم زغولة مدفونة في الأرض ، والقراقيش إياها
والفطير المشاتت ؛ وإن كان عليه كم كتكوت محرماني
ضرر ، والذين الزاب طبعاً شيء مفيد للصحة . ولا
بأس من كم بيضة مقالية في القشدة ، كفاية ، إياك
يا عمدة تعمل حاجة زيادة ، البك الوكيل أكلته
ضميفة . إن كان عندك عسل نحل بشمعه فلا بأس .
قرصين جبنه ضاني لا مانع ، طبق كمك وغريبة .
الفرض حاجات خفيفة لطيفة وانت سيد المارقين !
أطرقت لهذا الكلام واحمر وجهي ولم أدر ما
أصنع . ورأيت الخير في أن أسرع بالانصراف .
فطويت أوراقى على عجل . ولكن عين المأمور
لحظتني وأدرك غرضي . فجاءني مسرعاً يسألني :

حياة ، فوقفت قليلاً وقد شردت خاطري ، وخاضرتني إحساس من يقف في المحطة بين القطر . نعم ، أو لست الساعة في تلك المحطة التي يسافر منها المريض إلى العالم الآخر ؟ وحانت منى التفاته إلى باب المستشفى الكبير ورأيت العسكري المكلف بالحراسة يطرد زرافات النساء المجتمعات في ثيابهن السود « طرهن » الزرق وأصواتهن التي يقطعها عويل القلق . فعلمت أنه سيأتي إليهن بجثة بعد قليل . فأنهم في كل يوم يلقون خارج أسوار هذا المكان بجثة أو جثتين ليفترسها الحزن الرابض بالباب ذو الناب الأزرق في لون « النيلة » والحجاب المعفر بالطين والتراب

وفتح باب قاعة العمليات وخرج ممرض يحمل دلواً فيه دم سائل ومتجمد وقطع من اللحم كأنها أحشاء خروف ، فنظرت في ذلك ، فقال لي الرجل إن هذا خرج من بطن امرأة هي الساعة فوق المشرحة تحت البثج ، فجمدت في موقعي . وبادر المأمور وطاب باسمي مقابلة الحكيمباشي في الحال ، فذهب الممرض وعاد يفتح لنا باب قاعة العمليات ، فتجسدت ودخلت وخلفت من كان معي ، فقابلني الحكيمباشي بابتسامة وهو مازال منحنيًا في معطفه الأبيض على شيء فوق المشرحة وقد شرد عن ذراعيه وفي يده أداة كأنها « الكاشة » وحوله رهط من أصدقائه غير الأطباء عرفت منهم بعض الأعيان في ملابسهم العادية . فدنوت ونظرت إلى الذي بين يديه فإذا هو جسم فتاة قد شق بطنها شقًا طويلاً من الصدر حتى أسفل البطن ، وإذا « الكاشة » في يده تجمع الجلد الذي انشق وتخطيه بشيء كأنه المسامير الصغيرة ، والطبيب يفعل ذلك في سرعة غريبة وهو يثرثر مع ضيوفه مازحًا ضاحكًا كأنه « حاو » بفأخر بخفة يده ومهارة صنمته . ونظرت

— أظن نرجع ما دام التحقيق انتهى
فأشرت إلى الشاهد الذي كان جاني به وقد نسيه فيما يظهر :
— لما نسأل الشاهد المهم !
فأجاب المأمور من فوره :
— لا مهم ولا حاجة
وتركني وأنجه إلى الفلاح وقال له :
— أنت يا ولد عندك معلومات ؟
فأجاب الفلاح :
— « لَع »
أى لا ، فالتفت إلى المأمور قائلاً :

— جحش الله في برسيمه ! لا عنده معلومات ولا يحزنون . قم بنا يا سمادة البك نرجع بلدنا ! ونهضنا عائدين ، وقد ارتفعت الشمس . ولم نكد نبلغ دار المركز حتى أقبل علينا « البلوكامين » يحمل إشارة من المستشفى الأميري أن المصاب « قر الدولة علوان » قد أفاق من غيبوبته الآن ويمكن استجوابه ، فأسرعنا إلى المستشفى لا نلوى على شيء ، خشية أن يعود المصاب إلى الأغماء أو سوء الحال فلا نستطيع أبدأ أن نستخلص من بين شفتيه سر الحادث

ودخلنا المستشفى وسألنا عن « الحكيمباشي » فقيل لنا إنه في قاعة العمليات ، فسرنا في الردهة الموصلة إليها ، فقابلتنا تلك الأسرة الصغيرة والمحفات التي تجرى على عجالات فوق الأسفلات كأنها عربات الخالين في المحطات الكبرى ، ورأينا تلك البواخر وأدوات التعقيم تدفع على بكر وتتصاعد منها البخار ، والمرضون في هرج ومرج بأردبيتهم البيضاء يدفعون تلك العجلات التي تحمل أجساماً في طريق الفناء ، يدخلون بها تلك القاعة الرهيبة ويخرجون دون أن يبدو على وجوههم أثر اهتمام لموت أو

علينا تشخيصات طبية لم أحفل بها الساعة وقلت :
— الغرض ، يمكننا استجوابه حالا ؟

فأجاب الطبيب في صوت خافت :

— أظن مع الاختصار الكلى

ثم دنا من المصاب وناداه في هدوء ففتح قليلاً
عينين ذهب بريقهما وكانهما لا يريان شيئاً ولا يثبتان
على شيء بعينه . فاقتربت من الرجل وسألته :

— يا قمر الدولة ! من ضريك ؟

فلم يجب . فاعدت عليه السؤال ففتح شفثيه
ولم يقل شيئاً . فألححت عليه فبذل جهداً ظاهراً
وقال كلمة واحدة :

— ريم !

فدمعت قليلاً . والتفت بمنة ويسره فوجدت
المأمور وسكرتير التحقيق شأنهما شأنى فى الاهتمام
بالأمر والمجب له . فنظرت فى وجه المصاب وقلت :

— وضغ غرضك يا قمر !

فلم يجب

— قصدك أن ريم هى نفسها ...

فلم يبد حراكا ...

— يا قمر ، يا علوان . تكلم . لا بد أن تتكلم .
كلمة واحدة . الضارب ؟ من الضارب ؟

ولكننا نطلب المستحيل . فقد أغمض عينيه
وقد تفقد جبينه عرقاً . فجدبني الحكيمباشى من
يدى بعيدا وقال :

— كفاية !

فنظرت الى المأمور يائساً :

— كفاية ؟ !

وهل ظفرتنا نحن بشيء ؟ لقد كان موقفنا
عند دخولنا أوضح منه الآن . إنها كلمة لفظها هذا
القم الحاف بمد جهد ، ايته لم يلفظها ...

(يتبع) ترفيق الحكيم

فى وجه البنت الشاحب وهى كالمينة ، ثم إلى جلدة
بطنها وقد رشقت بالسامير فى من طوبل كأنها
جلدة حذاء فى يد الاسكافى ؛ فشمرت بدوار فى
رأسى وخفت أن أسقط ، فاعتمدت على جانب
المشرحة . ولحظ الطبيب اصفرار وجهى فترك
المريضة وحدق فى وجهى قلقاً . فأسرعت وخرجت
من القاعة وأنا أقول له فى صوت لم يخرج إلا نصفه
من حلقى :

— منتظرك يا دكتور بعد العملية

وسألنى المأمور عما بى فلم أستطع التعليل . إلى
قد شاهدت كثيراً من عمليات التشريح ، وطالما
رأيت جثثاً تقطع أمامى وبطوناً تبقر فلم أنأثر .
ولكنها كانت أجساداً لا حياة فيها ؛ أترانى شديد
التأثر لم أرى الأجسام الحية تعامل معاملة الجثثات ؟
أم أنها فضلة من رائحة البنج عبق بها جو قاعة
العمليات فبلفت خياشيمى إذ دنوت من جسم الفتاة ؟
وأعدنى الهواء الطلق خارج القاعة الى نشاطى
وجلسنا ننتظر فى مكتب الحكيمباشى ، ونشرب
قهوة طابها لنا « الباشتمرحى » . الى أن حضر
رئيس الدار فقادنا مرحباً الى « عنبر » المصاب

وجلسنا معه خلال ممرات ازدحت بالأسرة إذ
لم تكف « العنابر » لأواء هذا القدر من التمساء .
ورأينا المرضى الناقهين من أصحاب « الزعابيط »
الزرقاء يتناولون فى نهم حساءهم فى أوان صغيرة
من « الألومنيوم » ، وينظرون إلينا ومعنا
الحكيمباشى كما ينظر القردة فى حديقة الحيوانات
الى الحراس مع كبار الزائرين

ووصلنا الى سرير « قمر الدولة » ، فوجدناه
مدداً لا يتحرك . ونزع الحكيمباشى من رأس
السرير تلك الرقعة التى بدون فيها تطورات مرضه وقرأ



من أعماق النفوس



استغفارنا في الغصير

لألفريد رى موسى

بتم الأستاذ فليكن فارس

(تابع)

الفصل الثالث

سأفص الحوادث التي أصبت فيها أولاً بداء

المعصر :

بعد أن مرت المساء في ليلة راقصة ، جلست إلى مائدة مع أصحابي ، وقد ارتدوا أنفخ ملابسهم ، والقاعة تنص بالشبيبة الفضة تشع مرحاً وجمالاً ، وعلى جانبنا موائد عديدة تحمل أنفخ الطعام والشراب ، تغمرها الأنوار وتكلمها الأزهار ، والموسيقى تملأ القاعة بصخب الأنغام ؛ وكانت على المقعد المقابل لقمدي الخالبة الرائعة الجمال التي أقمها معبوداً لقلبي

وكنيت وقتئذ في التاسع عشر من ربيع الحياة ، وما كنيت عرفت شقاء ولا ابتليت بداء ، وكنيت أنوماً لا أعرف المصانمة وفؤادي طافح بالآمال

وفعات الخمرة فملها في عروقي ، فبدأ كل ما حولي كأنه موسوم بطابع المرأة التي أحب . فني مثل هذه الذشوة تلوح الدنيا للماشق جوهرية

تنالق باسم المحبوب من كل جهاتها ، فيكاد التمل يقبل كل من يتسم له ، إذ يشعر بأنه أخ لكل مخلوق في الوجود

وكانت خليلتي قد ضربت لي موعداً الاجتماع بها بعد انقضاء السمر ، فكنت أرفع الكأس إلى شفتي ولحاظي تغور في أحداقها

وأدرت ظهري للمائدة لا تناول طبقاً فسقطت الشوكة عنها ، وحين انحنيت لأرفعها عن الأرض مزيجاً الغطاء المتدلي ، رأيت قدم خليلتي مشتبكة بقدم الشاب القاعد بقربها ، وكانت الساق على الساق تشد إحداها الأخرى

جلست بكل هدوء ، وطلبت شوكة غير التي سقطت وعدت إلى تناول طعامي ، وكانت خليلتي والشاب يحتفظين بالسكون التام ، فلا ينظر أحدهما إلى الآخر ولا يتحدان ؛ بل كان الشاب متكئاً على المائدة ، وقد أدار وجهه إلى جارة له كانت تربه

وما كانت أصابع رجلى تلس الأرض لشدة تشنج أعصابى . ومرت على ساعة وأنا على هذه الحالة من الهياج والجنون ، وكانت هذه أول نوبة غضب شعرت بها فى حياتى

وكان الرجل الذى باغته مع خلياتى من أعز الأصدقاء على ، فذهبت إليه فى اليوم التالى وقد استصحبته شاباً يتهن المحاماة اسمه (ديجنه) ؛ فأخذ خصمى لنفسه شاهداً آخر وتوجهنا جميعاً ومعنا الأساحة النارية إلى غابة فنسين ؛ وكنت أثناء الطريق أتحاشى توجيه الخطاب إلى خصمى أو الاقتراب منه ، كيلا أندفع إلى شتمه أو ضربه إذ لم يكن من موجب لهذا الاعتداء ما دام القانون يجيز لنا الاشتباك بمركبة منظمة ؛ ولكننى ما كنت أمتلك نظراتى من التوجه إليه ، وكان هذا الشاب من أصدقاء الصبي ، وقد تبادلنا الولاء طوال السنين ، وما كان يجهل علاقتى بخلياتى ، وقد كان صرح لى سراراً بأنه شديد الاحترام لمثل هذه العلاقات ، وأنه لا يقدم على مزاحمة صديق له حتى ولو برح العشق به . وكانت ثقى شديدة بهذا الصديق ، وقد لا أكون صاخة يداً بمثل الولاء الذى كنت أضمره له . وحدثت ملياً فى الرجل الذى سمعته يتكلم عن الصداقة كأنه أحد الأبطال الأقدمين ، ثم رأيت بعد ذلك يتمتع بخلياتى ؛ فإذا هو فى عيني أول مسخ أصادفه فى حياتى ؛ فكنت أثبت النظر فيه لأرى كيف تتكون السوخ ، وكان يخيل لى أننى لم أركض هذا الرجل الذى عرفته وهو فى الماشرة من عمره ، فمرت بنا الأيام من ذلك العهد تواقى روابط الولاء بيننا ، وإننى لأورد هنا تشبيهاً ينطبق على حالتي :

عقدتها وأساورها ؛ وكانت خلياتى جامدة ، وقد شخص بصرها وتراخت على مقدمها ، وما انقطعت لحظة عن مرافبتها إلى نهاية الطعام ، فلم تبدر منها بادرة تنم عن حالها

وعند ما قدم الخادم الحلوى ، زحافت المنشفة وانحنيت لأخذها عن الأرض فرأيت الساقين وهما لم يزالا يتشادان مترابطتين ، وكنت وعدت خلياتى أن أرافقها بعد الطعام إلى منزلها ، وما كان ما يحول دون ذلك ، وهى أرملة وليس لها إلا صهر طاعن فى السن يرافقها أحياناً إلى المجتمعات ؛ وبوصولنا إلى الدمايز أمام المخرج وقفت وقالت : (هيا بنا يا أوكثاف) ، فقهقهت ضاحكاً ، وخرجت دون أن أفوه بكلمة

اندفعت إلى الشارع ؛ وبعد أن مشيت خطوات جلست على قارعة الطريق واجماً كأننى أصبت بالعمه من خيانة هذه المرأة التى لم تثر غيرتى يوماً ولا نهيت شكوكى ، وما كان الذى رأيت ليترك فى أقل ريب ، فأصبحت لذلك كمن فوجئ بضربة فأس على أم رأسه . ومرت الساعات وأنا جالس على الحجر تمر بذهنى أمور لم أكن لأذكر منها شيئاً فيما بعد . غير أننى رأيت شهاباً ينزلق فى السماء فرفعت قبعتى مسلماً عليه ، والشعراء يرون فى كل شهاب هاو عالمًا يندثر

ورجعت بكل سكون إلى منزلى ، وأنا لا أنسى وبدأت أخلع أثوابى ، ثم انطرحت على سريرى ، وما ألقيت رأسى على الوسادة حتى استلوت على فكرة الانتقام ، فانتفضت وجلست ، وقد توترت عضلاتى فأصبحت كقطعة من خشب . قفزت إلى الأرض ومددت ذراعى وبدأت أصرخ ،

بعيداً عن العظم ؛ غير أنني كنت أتملأ إلى درجة جعلت كل محاولة لتضميد الجرح مستحيلة . وعند ما تحركت العربة المسير رأيت يد خصمي قابضة على طرقة الباب وهي ترتجف ؛ وكنت أشعر أنه غائص في ندمه ، ولكنني لم أكن بحالة تمكنني من التغلب على ثورة أعصابي لمنحه الغفران

ولما وصلت إلى مسكني كان قد نزع من دمي ما يكفي لتهدئة دوران الغضب ، وكان أشد على من آلام جرحي . استلقيت على فراشي مرتاحاً وتناولت من الماء كأساً لم أشعر بلذته في أية كأس شربتها في حياتي

وبعد رهة شعرت بنار الحى فتساقطت دموعي وتسلط الأذى على ، لا لتحول خيالي عنى بل لأقدامها على خداعي . وهل يسهل على أن أدرك السبب الذي يحفز امرأة لا يقيدتها واجب ولا غاية بادية إلى عيادة رجل وهي تحب سواه

وكنيت أعان استغرابي بهذا لديجته عشر مرات في اليوم فأقول له :

— لو أنني كنت زوجاً لهذه المرأة ، ألو كنت أذل السال لها لكانت أفهم سبب خيانتها . فما الذي كان يصدها يا ترى عن إعلان انتهاء حبها لي ؟ وما الذي دعاها إلى خيانتني ؟

وما كنت أتصور وقوع الكذب في الغرام . كنت لم أزل في شرح الشباب في ذلك الزمن ؛ غير أنني أعترف بقصوري حتى الآن عن إدراك هذا السر . واقصد كنت كلما أحببت امرأة أعان لها حبي ، وكلما شعرت بزوال الحب أعلنه أيضاً ، إذ كنت أعتقد أن مثل هذه الأمور لا سيطرة لارادتنا عليها ، وأن لاجرمية إلا في الكذب

إن في رواية إسبانية معروفة مشهد شخص من حجر يرسله العدل الأسمى لابتذول طعام المشاء مع رجل عاهر ، فيتجلد هذا الرجل كيلاً بلع حاديه اضطرابه ، ولكن الجالس يتقدم لمصاحفته ، وعندما يقبض على يده بشعر الرجل بصقبع الموت ويرتمس حتى يفقد شعوره

واقصد كنت طول حياتي كلما تكشف لي صديق أو خاليلة عن غدر وخديعة أشعر بما لا أجد له شيئاً سوى مصاحفة يد المثل ، فكأنني كنت أفيض حقيقة على يد من رخم تشمري بصقبع الحقيقة الروعة

تلك هي مصاحفة اليد الباردة . والسكم طرقت بابي وأنساه . والسكم زل الرجل الحجري في شيافتي فتناولنا المشاء معاً

ونمت المعدات فوقفت من خصمي موقفه مني ونقدم كل منا ببطء نحو الآخر ؛ وأطابق هو النار أولاً فأصابني في ساعدي الأيمن ، فتناولت السلاح بيدي اليسرى ، ولكن خائتي القوى جثيت راكماً على ركبة واحدة . وعندئذ رأيت خصمي يتقدم إلى بسرعة وقد امتقع لونه وبدت عليه دلائل الاضطراب الشديد ، وترا كض الشاهدان فأبعدهما هو وقبض على يدي الجريحة وقد صرف بأسنانه واختنق صوته فرأيت الألم يرسم على وجهه بأشد مما كنت أشعر به

فصحت به : اذهب عني ، اذهب إليها وامسح يدك بغطاء فراشها . وبقيتنا كأننا على صدر كل منا حجراً

ونفقت إلى عربة حيث عابثني طبيب فوجد أن الجرح غير خطر لأن الرصاصة كانت استقرت

نوبها وتهدل شعرها ، فرأيت فيها من الجدل ما لم أراه من قبل ، فارتعشت كرهاً واشتزازاً بينما كانت الشهوة تنور في دمي

خرجت من لدنها وقد تحطمت قواي وصممت على ألا أقابلها أبداً ، ولكنني رجعت إليها قبل مضي ربع ساعة وأنا مندفع بقوة خفي كنهها على ، وقد تسلطت على شهوة التمتع بهذه المرأة مرة أخيرة لأثرب على جسدها الرائع الجمال كل ما ذرفت من برير الدموع ولأنتحر بدم ذلك

كنت أكرهها وأعبدتها ؛ كنت أشعر أن غرامها يورثني الهلاك ، وأشعر أيضاً أنني لا أقوى على الحياة بدونها . صعدت إلى غرفتها بسرعة السهم المنطلق دون أن التفث إلى الخدم في طريق ، ودفعت باب غرفتها فجأة فرأيتها جالسة إلى المرأة وقد نحلت بجميع جواهرها ، وكانت وصيفتها واقفة وراءها تمشط شعرها ، تخيل إلى أنني أشهد حلماً ، إذ امتنع على أن أتصور أن المرأة التي أراها أمانى هي المرأة نفسها التي كانت منذ هنيهة ساقطة على الأرض تحت وقر آلامها

تججرت كالتمثال مكاني ، وعند ما سمعت انفتاح الباب التفتت وقالت قبل أن تراني : أهذا أنت ؟

وكانت تنتظر خصمي ليذهب بها إلى رقص . وإذا عرفتني قطبت حاجبيها وتبرمت . وتراجعت قاصداً الانسحاب ، ولكنني رأيت رقبتها الناعمة وقد عقص عليها شعرها وربط عليه مشط من اللباس ، والتفت فوقه خصلتان ركزتا بسنيلتين من الفضة ، ولاح كتفها وعنقها بأنصع بياض ؛ فكان شعرها المقصوص مرتفعاً لمدة أسدسها

أما ديجنه فما كان يجيب على كل هذا إلا بقوله : إنها لشقية . فمدني ألا تنظر إلى وجهها فيما بعد

وكنت أقسم له باتباع نصيحته . وقد أشار على فضلاً عن عدم مقابلاتها ألا أكتب إليها حتى ولو بقصد توبيخها ، وألا أحاولها إذا هي كتبت إلي . وما ترددت في وعده بما أراد وأنا مندھش بل متالم امرأة نفسي لا تراضه إمكان مخالفتي لهذه الخطة الرشيدة

ولكنني ما تمكنت من النهوض من فراشي ومبارحة غرفتي حتى هربت إلى منزل خيالي فرأيتها وحدها على مقعد في غرفتها وقد ظهر التعب على ملامحها والاهمال في ترتيب أثوابها . فاندفعت أشبعها لوماً وتقريماً ، وقد بلغ مني اليأس أقصاه . فكنت أصرخ بملء صوتي ودموعي تتساقط بغزارة ، وخنقني الزفير فانطرحت على السرير وأنا أقول : لقد كنت تملين أن خيانتك تقضى على أيتها الخائنة الشقية ؛ فهل لذت لك هذه الجنابة ؟ وما هو ذنبي إليك يا ترى ؟

أما هي فانطرحت على تمانقني قائلة : لقد اندفعت بالرغم مني لأن ذلك الشاب كان قد أسكرني على المسادة ؛ ولكنني لم أستسلم إليه ، بل كل ما وقع هو أنني تراخيت في ساعة ضلال . ولقد أكون أخطأت ولكنني لم أرتكب جرماً . إنني أقدر الضرر القادح الذي أزلته بك ، ولكنني أطمع في عفوك ، فإذا أنت منعتني عنى قلتي

وما ادخرت شيئاً من دموع التوبة الصادقة ولا من فصاحة الألم توصلاً لتهزئتي ، وارتفعت على ركبتيها في وسط القاعة وقد امتقع لونها وتفتق

وقالت لها :

— ايكن ما تريدن ، واسكنني أقسم بالله الذي
يرانا ، وروح أبي أننى سأقتلك وأنتجر بعدك
وأخذت خنجرأ كان على رف الموقد ودسسته
تحت الوسادة فابتسمت وقبلتني قائلة : — مالك
ولهذه الخنفة يا أوكثاف ؟ تعال إلى ! إياك ترهبى
نفسك وأنت محموم ، أعطنى هذا الخنجر
ولا رأيت أنها تحاول أخذه قالت لها :

— إسنى إلى . إبنى لا أعرف من أنت ولا أية
مهزلة تخبين : أما أنا فليس من المهازل ما أفعل .
لقد بلغ حبي إياك أقصى حد يصل إليه حب إنسان
على الأرض فكان ذلك لشقائى وموتى ، فاعلمى أننى
لم أزل أنفانى فى هواك . تقولين إنك تحببىنى أيضاً
فأما أطاوعك فى رغبتك ، وأقسم بأقدس ما فى
الكون بأننى إذا ما اندججت بك هذا المساء فلن
يامسك أحد سواى عداً . سأتمتع بك أمام الله
إذا مرضيت ، واسكننى سأقتلك قبل انفلاق الصباح
وارتعبت على الأرض مرتعشاً ، فرأيتها تاقى
معطفها على كتفها بسرعة وتولى الأدبار
وعند ما أخبرت (ديجنه) بهذه الحادثة قال لى :
ولماذا رددتها ؟ إنها لجميلة حقاً ، فهل بلغ كرهك
لها إلى هذا الحد ؟

فأجبت : أما زح أنت ؟ وهل لهذه المرأة أن
تكون خيالى بعد الآن ؟ وهل تمتقد أن بإمكانى أن
أشترك فيها مع سواى ؟ أفلا تذكر أنها أقرت
بتمتع غيرى بها ؟ فهل بعد ذلك تريد أن أنسى
وأستبقى حبي لها وأتمتع بها أيضاً ؟
(ينبع) فليكن فارس

بالشهد الذليل الذى وقفت عنده منذ هنيهة .

وجت لحظة ثم تقدمت فجأة إلى هذه المرأة
وأزات بقبضتى ضربة قاسية على رقبها فلم تصرخ
بل سقطت إلى الأمام مرتمية على يديها . وعندئذ
أمرعت بالانصراف
وما إن وصات إلى منزلى حتى عاودتنى الحمى بشدة ،
فلذمت الفراش وقد نكأ جرحى فألانى كثيراً .
وجاء ديجنه لعيادتى فأطاعته على ما جرى ؛ وبعد أن
أصنى إلى بكل هدوء أخذ يتمشى فى الغرفة كمن
عزم على أمر يتردد فى تنفيذه . وأحيراً وقف أمامى
وأطلق ضحكة عالية وقال :

— أهذه المرأة أولى خيالاتك ؟

فقلت : — لا بل هى الأخيرة

وعند منتصف الليل بينما كنت مستغرقاً فى
نومى المضطرب خيل إلى أننى أسمع نهداً عميقاً ، وإذا
فتحت عيني رأيت خيالى واقفة قرب سريري وقد
شبكة يديها على صدرها كأنها شبح من العالم
الثانى ، فاماكت روعى فصرخت حاسباً أن ما أراه
خيال جسمه دماغى المحموم ، فهضت مذعوراً
وهربت إلى زاوية الغرفة ولكنها تبعتنى وقالت :
أنا هى . وضمتنى إليها فصاحت بها : — ماذا تطلبين ؟
دعبنى وشأنى وإلا قتلتك

فقلت : — لك أنت تقتلنى فأننى خنتك
وكذبت عليك ، وما أنا إلا شقية حقيرة ، واسكننى
لا أطيق الحياة بدونك

ونظرت إليها فإذا هى مجسم الجلال ، وقد
ارتعشت أعضاؤها واشتعلت عيناها بشيران الشهوة ؛
وكان عنقها عارياً وشفتاها محترقان ، فطوقتها بذراعى



مويسوس



الأوديسيوس

لهيرسروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

النبأ، وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه،
ويذيقهم ضعف ما صنعوا، وإن يجديهم أن يتوبوا
أو يندموا... ليأتينكم نبؤه بعد حين : »
وسخر القوم واستهزأوا به، وقام يوريماك
يرجمه بهذه الكلمات :

« انقلب إلى دارك أيها المجوز الحرف : هلم
إلى أحفادك الكسالى فتبألهم عما ينبغي أن يأخذوا
حذرهم منه : لقد قصف النون عصف أوديسيوس
الفيثيان . فليت قصف عصفك كذلك : طير ؟ ها !
إن الطير ظلما يستمر في سماء إيثاكا ؟ إن أكرم
الظن أنك تطمع في منحة من ابن مولاك تليماك ..
ولكن اصح إلى : أنتك لك منحة منا إن تنبأت له
عما يكاد يذهب بك وبه من بطشنا إن لم يحتر
نفسه : أسمع : لقد تصحنا له أن يرسل أمه إلى
بيت أبيها ليختار لها الكفء الذي ترضى ، فلم
يتصح . وأما أرسلها كلمة صريحة في غير مين أننا إن
نبرح عاكفين على ما نحن فيه من هذا الخير (حتى

وما كاد يفرغ تليماك من مقالته حتى أرسل
سيد الأواب نسرين عظيمين طافقا بضربان الهواء
بخوافيهما ، ثم جملا يدومان فوق المأ ، ويقدحان
الشرر من أعينهما ... تدرى ردى ، وصيحة
منون . ثم انطلقا نحو المدينة وغابا في ظلام البعد
وشده القوم ، ورمت أفئدة المشاق ، وأخذوا
يتخافتون ... ثم نهض فيهم القديس هاليتير بن
نسطور المعروف بورعه وصدق نبؤه ، فقال :

« أيها الناس : يا أبناء إيثاكا ! اسمعوا وعوا !
ليحذر المشاق المعاميد ما ينبغي لهم الغيب من شر
أوشك أن ينقذ على رؤوسهم ! إن أوديسيوس حي
برزق ، وإنه عائد يوما إلى وطنه ، بل إنه يجد السير إلى
هنا ! وإنه ليحمل الموت الأحمر إلى خصومه ، والخير
الأخضر إلى مواطنيه : أنا هاليتير ، قد يسكن الذي
لا يكذب قد أنبأه قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك

« إسموا إلى يا أهل إيثاكا : ما أنكم اليوم قد
 نسيتم آلاء مالكمكم أوديسيوس عليكم ، وهو الذي
 كان يرعاكم كأب ، ويصدق عليكم من فيضه العميم ؟
 مالكم قد تقاعدتم دون هؤلاء الشاق الذين يذهبون
 بخير مولاهم وبما كانوا مال أبته بغير الحق ، وهم
 قل وأنتم ككثير ، آمنين مطمئنين ، لا يرهبون
 أوبة مفاجئة من البطل النريد ... »

وهاجت كلمة الرجل كوا من العشاق فهب
 أحدهم وهو ليوكريتوس ، يقول :

« رويدك يا منظور ! أيها الثمارة المسجول !
 كيف تجرؤ أيها الرجل فتثير الشعب على العشاق
 وهم سادتك ؟ هل أعجبتك كثرتهم يا منظور ؟ إذن
 فأبشر بمجزهم دون ما ابتغيت ، وثق أن ملك إيثاكا
 نفسه لن يستطيع معهم شيئاً إذا حاول إخراجهم
 من بيته هذا ، إذا قدر له يوماً أن يعود ؛ إنه إذا
 فعل فسيدوق وبال أمره ، ولن نزال منا حماقاتك
 ولا نبوءات هاليتير ، وبنلوب نفسها أن تسر بأوبة
 أوديسيوس ؛ ولكن اسمع أيها الشيخ ، إنه إن
 يضيرنا أن يذهب تليماخوس فيذرع البحر باحثاً
 عن والده ، وله أن يتخير من السفن ما يشاء ... »
 وتمرق القوم ، وأهرع العشاق إلى خيامهم ،
 وانقلب تليماك إلى سيف البحر ، حيث وقف فوق
 صخرة نائثة يذاجى مبرقاً :

« أيها الزية المباركة ! يا إلهة الحكمة مبرقا :
 يا من كنت أمس ضيفة مكرمة تحت سقف هذا
 البيت ؛ أصلي لك ، أنا تليماخوس التمس ، وأبتهل
 أن تباركيني وتسددى خطواتي ، وتكوني رائدي
 الأمين في عباب هذا البحر ، وأن تشدى أذرى
 وتكوني ممي إلأ على هؤلاء الفساق المرايبس ،

تخضع بنلوب) فتمغنى مأجورين ... وثق ، أيها
 الشيخ المهيب الحرف أن نبوءاتك لن تفرغنا ، بل
 هي تضاعف سخطنا عليك ، وبغضاء مالك ... ألا
 ما أطيب الإقامة هنا ؟ ! التردد بنلوب عناداً ، فلما
 لا تردد إلا جلاداً ... »
 ونهض تليماك فقال :

« على رسلك يا بورعاحوس : وعلى رسالتكم أيها
 العشاق جميعاً ... لقد أرساتها كلمة حق فلم تستمعوا
 لها : أبدأ أن أضرع إليكم مرة أخرى ... الآلهة
 ببني وبيدكم ، والأغريق أجمع أعلم بأمرى وأمركم ؛
 غير أن لي طلبة إليكم حبذا لو ألتعنوني إياها ...
 فهل تسمحون لي بركب وعشرين بحاراً فأقاع من
 فوري هذا إلى بيلوس ثم إلى أسبرطة ، عسى أن
 أسمع خبراً عن أبي ، وأناقف نبوءة من سيد الأوب
 الذي بيده مالكم كل شيء ... إني إذا علمت أن
 أبي ما زال حياً فقد أوفق في العثور عليه ولو بعد
 حين ، أما إذا استيقنت من هلاكه فاني عائد إلى
 إيثاكا فقيم له نصيباً يتفق وهذا الحمد الباذخ والذكر
 التليد ، ثم يكون لي مطلق الحرية في منح أحدكم
 يد أي فتكون زوجه الخاصة إلى الأبد ، بعد أن
 أتم لأبي كل الراسيم الجنائزية ، أقرر روحه العظيمة ،
 ونسكن إلى ربها في ظلال هيدز ^(١) »

وكان في المجتمعين رجل تبدو عليه مخايل النبل ،
 وتنفذ في رأسه جرات المشيب ، تهالك على نفسه
 حين وقف ينافح عن تليماك ، فإذا هو الشيخ منظور ،
 الذي كان أوديسيوس قد استخافه على أهله قبل
 إبحاره إلى طروادة ، صداقة قوية كانت تجمع
 بينهما ... قال منظور :

(١) اسم الدار الآخرة في الميثولوجيا

وأفديك ... لكن لئلا نلتمض الآن فلنعد للرحلة ما هو
حسبها من زاد وعتاد ، ونخبه أولى بأس من
رجالك الأقوياء ، وسأنتقى أنا نفسي أشدهم مراساً
وأصدقهم غيرة ... إمض على بركة الآلهة ...
إمض ... لا وقت لدينا فنضيقه ... هلم ...

وسكنت ميترفا ... ولكن حرارة كلماتها
أشرقت بالآمال في نفس نلياك ، فذهب وقلبه
يخفق بألم أمنية ... إلى القصر ... حيث رأى
المشاق يدنحون ويمدون نار الشواء ، وحيث قد
أنفينوس للقائه ساخرًا مستهزئًا :

نلياك : ناشدتك الآلهة إلا ما شاركتنا غداً ما
واطرحت نفضاك هنيئة : هلم ! تحسن من هذه
الحرقرة فقام إليها الصديق . لا يشغلك أمر الرحلة ..
فقد أمرنا أن يمد لك الآخيون سفينة عظيمة
وقدراً من الزاد كبيراً ، وعصبة من الرجال أولى
قوة .. وستبحر قريباً فتذرع البحار وراء أبيك .
هلم ... هلم ...

ولكن نلياك عبس عبوسة قاعة وقال :

« أنفينوس ! إليك على ما أستطيع مشاركة
حصى السفلة غداً هم ، ولا لي قلب فأشرب
النخب من يدك ! لا بورك لكم هذا الذبح الذي
لا يحمل لكم ، والذي استبحتموه من غير حق ، إذ
أنا طفل أحبب .. أجل : لأستمجان لكم الخراب
ولأسمين في حتفكم ، ولأذهبن إلى بيلوس فانتصر
إذ عزني النصر في إيثاكا ! أيها الذئب ! حتى
سفائتي وعتادي تنكرونها على ! »

وكان اللئيم قد أمسك بيمين نلياك كالصافح
المستهزئ ، ولكن نلياك جذبها ساخطاً ، وترك
الكلاب تغمره وتلعزه ، وتستهزئ بهذا المون

وأن تشرق في ظلمات رحلتى البعيدة ، وأن تحلى
أمنًا وسلاماً على ... يا ميترفا ، يا ميترفا ، آمين
ياربة العدالة ... »



واستجابت ميترفا ، وأقبلت في صورة الأمين
منطور حتى كانت قبالة نلياك ، ثم شرعت تسكبه
كلمات هن أروح من أنفاس الفجر ، وأندى من
نسيمات الورد ، وأعذب من قطرات الندى :

« السلام عليك يا نلياكخوس ! السلام عليك
حين تثبت أنك ابن أوديسيوس وفرع دوحته
الوارف ، وحين تبدو فيك بدوات من حوله
وطوله وقوة بأسه ، وحين تقلع على بركة السماء
وفي عناية الآلهة ورعاية سيد الأولب ! في رحلة
إن تكون عينا ... أنت ابن أبيك يا نلياك ... أتى
بك من بنلوب ... وآية ذلك هذه الروح القلقة
التي تشيع فيك من أجله ، وهذا الجبروت الذي
هو نفخة منه ، وذاك الصوت الجبار الذي يتاجلجج
في فك كأنه فيض من لسانه ، وذلك الذكاء الوقاد
الذي هو قبس من ذهنه العظيم ... بشراك يا نلياك :
لا يحزنك خيال أعدائك فقد أوشك القضاء أن
ينقض على رؤوسهم فيحططهم ... أنا ... أنا ... أنا
هذا الشيخ المهدم ، صديق أبيك وأمينه منطور ،
سأكون معك ، وسأخدمك ، وأمهرك عليك ،

اليوم رفات سحيق في رمس عميق في بلد لا نعرفه !
أتسافر يا تليماك ليأتكم بك هؤلاء الذئاب ، وقد
يساطون عليكم من بين تلك ، ثم يستصفون كل مالك
بعد ذلك : حاشاك يا بني ! اتبني معنا نحن الذين
أحببناك واسطفيناك ! فبم تذرع عباب هذا البحر
ولا رجا لك في مطمح ، ولا ثقة لك في شيء ؟
وأجاب تليماك في رفق :

« روبدك أنت يا ربيبة ! إني لم أعترم شيئا من
تلقاء نفسي ... إنها السماء هي التي توحى إلي !
ولكنني أستجلك بكل أربابك ألا تقصى شيئا مما
اعترمت علي أي إلا بعد احد عشر يوماً أو اثني
عشر يوماً ... فأمها الو عانت بسفري لأظلمت في
عينها مباحج الحياة وذهبت نقسها على حشرات »
وأقسمت يوربكليا بكل أربابها ، واشتتت هي
ذات الخمر وأحمل الدقيق

أما منيرة ! أما ربة العدالة والحكمة الخالدة ،
ذات العينين الزرجديتين ، فقد عمت شطر البحر
وقصدت الى المرفأ ، حيث لقيت نوحون بن
فرونيوس سيد الملاحين ، وسألته إحدى جواريه
المنشآت ، فأعد لها واحدة من خيارها .
وما كادت ذكاء تدخل في خدر الآمن ، وما كاد
الشفق يبكي فيصبع بدموعه جبين السماء حتى كان
الملاحون قد هبوا القلوع ونشروا الشراع ،
وخبروا بحاذيقهم وأحضروا عددهم ، وتزودوا
من السلاح ؛ وكانت منيرة نفسها تستجهم ،
فسرعان أن سادت السفينة في جوارها ، ورقت
نشوى فوق هامات النبع

وذهبت منيرة ، في صورة منظور وفي طيلسانة
فأشرقت على عصبة المشاق ؛ وتمتت بكلمات

الذي يرجوه من بيلوس ، وتلك الجحافل التي يأمل
أن يجردها عليهم من أسيرطه ... « ومن بدرى ؟
فقد هتدى إلى إيفير النمرة ، فيجد في أعشابها
بقلة يدس لنا منها في كؤوسنا فتريحنا منا ... »
« ... بل من بدرى ؟ فلقد يتلمه اليم كما ابتلع
أوديسيوس من قبل ، وتكون هنالك الطامة ! إنا
إذن نقسم هذا المتاع وتلك الضياع ، ثم نهر أحدنا
الذي تختاره يتلوب بملا لها ، عادة هيلاس بهذا
القصر المنيف ! ... »

تركهم تليماك ، ومضى قدماً الى غرفة أبيه
بالطابق العلوى ، حيث كنوزه التي لا تقدر ، من
عدة للحرب وذهب مدّخر ، وجر معتق وروح
أذفر ، وخز ودياج ودّر وجوهر ، ومغافر
أعدت لليوم المنتظر ... يوم يعود أوديسيوس
فيظفر ويقهر ، ويظهر بيته من ذلك النفر ...
ووجد عندها حارسها يوربكليا فصاح بها :

« ربيبة ! يوربكليا ! هيا ! صي من حرك في
زقاق ! من مدامتك التي ادخرتها لأني ... لا ...
لا ... ليس من صفوتها يا ربيبة ، إحتفظ بصفوتها
له ، إملئي اثني عشر دنأ ، وهبني عشرين
جواً لآ من دقيق ، هيا ... أعدتها كلها لتجمل
إلى سفينتي بعد أن تنام المايكة ... لا يعلم أحد
بأمر رحلتى إلى بيلوس وأسيرطه ... حتى ولا أي !
سأرحل نمة ... سأسمع أخبار أبي ... »

وصمت تليماك هنيهة ... واستعبرت ربيبة
يوربكليا ، وأرسلت هذه الكلمات على أجنحة من
الحنان ، وفي شقائق من الرحمة :

« روبدك يا بني ! أي سفر وأي نوى ! ؟ لقد
انتهى أوديسيوس وانتهى معه كل شيء ! وهو

فانتشر الظلام فوق خيامهم ، ولعب الشمس رملًا .
 جفونهم ، وكانت الكؤوس ما تزال مفعمة في
 أيديهم ، فسقطت عن غير عمد لتسقى الأرض
 من تحتهم شرابًا !
 وطفقوا تحت طائف الكرى ، ينسلون
 إلى خيامهم .
 وأدافت مبرقًا نحو القصر ، لتلقى نلماك :
 « نلماك ! هلم ! البدار ! أنت هنا وكل رفاقك
 في الفلك المشحون ينتظرونك ! هلم ! يجب ألا
 نضيع وقتنا سدى »
 ونهض نلماك ! وسارت مبرقًا ، وسار هو في
 أثرها حتى كانا عند سيف البحر ، وحتى أشرفا
 على السفينة .
 « مرحبا يا رفاق ! هلموا فاحملوا هذه الدنانير
 (بنبع)
 وتلك الأحمال إلى السفينة ! لا أحد يعلم أمر رحلتنا
 حتى ولا أنى ! فقط ربيبي »
 وابتدل الملاحون أمر سيدهم ، ثم تقدمت
 مبرقا فركبت السفينة ومن ورائها ابن أوديسبوس
 وجاست هي عند الدفة ، ونشط البحارة فهبأوا
 المركب ، وحدثت المغرب ربة المداله بعباتها
 البرجديتين فهبت النسيمات رخاءً ، ورقصت
 تحنها الأمواج من طرب ، وانتصب نلماك واقفًا
 بحث رجاله ! واضطرب الماء تحت حيزوم السفينة
 واصطخب ، وصب القوم دنانير من البحر تقديما
 للآلهة وقربانًا ، ونحية ليترقا لا تبديد !
 واحلوا لك الليل وتدعى غيبه ! ثم انجأ
 ظلامه عن فجر مبين !
 دريخي مشجب

بنك مصر

يساعدكم على الدخار من أقرب وأضمن الوجهه

اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التوفير المحسوس والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأماً بمرکز البنك الرئيسي

بالقاهرة ، وفروعه بالاقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون